بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

خالد محمد خالد
تعريف به، وبمؤلفاته، وبقضية كتابه «من هنا نبدأ»

خالد محمد خالد
تعريف به وبمؤلفاته

ولد خالد محمد خالد يوم ١٥ يوليو عام ١٩٢٠م في قرية مصرية تدعى (العدوة) إحدى قرى محافظة الشرقية، مركز ههيا.

نشأ خالد في أسرة متوسطة الحال، ودرس ـ كبقية أولاد الريف ـ في الكتاب.

«فقضى سنوات معدودة لدى الكُتّاب، تمكّن من خلالها من معرفة القراءة والكتابة المبدئية، وحفظ بعدها قدراً يسيراً من القرآن الكريم، بدءًا من ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ إلى سورة يس. ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة الإلزامية، حيث توسع في حفظ القرآن، ودرس إلى جانب ذلك العلوم الأخرى، كالحساب، والتاريخ، وغير ذلك.

وأثناء ذلك، كان لخالد أخ يعمل في القاهرة، اسمه «حسين»، أشار على والده في يوم ما، أن يبعث بخالد إلى القاهرة لكي يحفظ القرآن الكريم كاملاً، تهيئة لدخوله الأزهر،

فسافر خالد إلى القاهرة، وأقام مع أخيه الأكبر «حسين» إلى أن بلغ سن العاشرة، وكان أثناءها قد حفظ القرآن كاملاً، ودخل الأزهر كطالب منتظم»[١].

«تقدّم خالد لدخول الأزهر، وهو في سن العاشرة والنصف من عمره: فرفض الأزهر قبوله، لأنه لم يكن يقبل أقل من سن ١٢ سنة، وقالوا: هذا الفتى ما زال صغيراً على الأزهر، فتوسط أحد أقارب خالد لدى الإمام الأكبر للجامع الأزهر لقبول الفتى، والتغاضي عن شرط بلوغ السن المطلوبة، وكان أيامها الشيخ «محمد أحمد الظواهري» هو شيخ الجامع الأزهر، وأراد الله له أن يدخل في هذه السن المبكرة مدرسة الأزهر، وهو لم يبلغ بعد الحادية عشرة من عمره، وبقي في الأزهر يدرس طيلة ستة عشر عاماً، إلى أن تخرج حائزاً على شهادة الأزهر العالية وعلى شهادة التخصص في التدريس، ماراً بالمعهد الابتدائي، ثم الثانوي، ثم كلية الشريعة، وكان ذلك عام ١٩٤٧.

وعندما يتذكر خالد سنواته الدراسية في الأزهر، يُشدد

---

(١) «ثورة التراث: دراسة في فكر خالد محمد خالد» للدكتور (الحداثي!) شاكر النابلسي (ص٢٥ ـ ٢٦) وقد استفدتُ كثيراً من هذا الكتاب.

على نقطة، أن طريقة التدريس في الأزهر في مراحله المختلفة، لم تكن تختلف عن طريقة أخيه في تحفيظه القرآن الكريم.

وكان الأزهر الشريف، يُدرس الطلاب الصغار كتب القمة في موضوعها، دون مراعاة لسن الطلبة، ومدى استيعابهم لمثل هذه الكتب الصعبة التي تُدرّس اليوم في المراحل النهائية من الدراسة الجامعية.

فكان الطلبة، وهم في المرحلة الابتدائية، يدرسون كتاباً صعباً في مادة اللغة العربية على سبيل المثال، اسمه «شرح متن القطر» وهو مؤلف على كتاب آخر اسمه «قطر الندى». وكانت الوسيلة الوحيدة للنجاح في هذا الكتاب الصعب هو حفظه غيباً، وعن ظهر قلب، لأن فهمه واستيعابه عقلياً، يصعب على طلبة في هذه السن. لذا غدا التعليم في الأزهر، في ذلك الوقت، تلقيناً وحفظاً، أكثر منه فهماً واستيعاباً.

كذلك يتذكر خالد، بأنه حفظ شرح «ابن عقيل» لألفية «ابن مالك» وهو في الرابعة عشرة من عمره، وحين يتذكر الآن ذلك، فإنه يوصي بشدة، بألا يُدرّس مثل هذا الكتاب، إلا في المراحل الجامعية المتأخرة، حتى يمكن استيعابه كاملاً.

فلو تصوّرنا أن «مختصر شرح متن القطر» وليس «الشرح»

نفسه، يُدرّس الآن في كليات اللغة العربية في الجامعات العربية، في حين أنه كان يُدرّس في السنة الثانية والثالثة الابتدائية في الأزهر أيام خالد، لأدركنا عظم المشقة التي كان الطلبة يتكبدونها، أثناء دراستهم في الأزهر.

ويقول خالد، بأنه كان طالباً جاداً، ومجتهداً، وناجحاً في دراسته طيلة سنواتها الممتدة، ولم يفشل إلا في مادة الحساب فقط..!

وكان يمكن لهذه المادة التي كان فيها خالد فاشلاً فشلاً ذريعاً أن تعيق مسيرته الدراسية، بعد أن فشلت كل جهود الجبر، والشدة، في تخطي الفشل إلى النجاح. إلا أن الشيخ «محمد مصطفى المراغي» شيخ الجامع الأزهر في ذلك الوقت، أصدر قراراً بإلغاء مادة الرياضيات من القسم الثانوي بالأزهر، فنجا خالد من فشل مؤكد، واستمر في دراسته حتى النهاية بنجاح تام.

ويتذكر خالد، بأن نظام الأزهر في ذلك الوقت، كان يقضي بأن يختار الطالب مذهبه في السنة الأولى، لكي يظل مستمراً عليه، ويحدد دراسته على ضوئه، خاصة في كلية الشريعة، حيث يُدرّس فقه الدين، ولابد أن يكون التدريس على

واحد مم المذاهب الأربعة. فاختار خالد المذهب الشافعي، ذلك أن أهل قريته كانوا من أتباع المذهب الشافعي.

ويتذكر الشيخ، أن كلية الشريعة، كانت تضم تخصصين في ذلك الوقت هما: القضاء والتدريس. فاختار التدريس»[١].

«وعندما تخرج خالد في الأزهر عام ١٩٤٧، عمل مباشرة في التدريس الابتدائي بوزارة التربية والتعليم، ثم غادر التعليم إلى إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم أيضاً، ثم نُقل إلى وزارة الثقافة، حيث تولى الإشراف على مركز التراث الإسلامي، ثم تفرغ للكتابة والقراءة كلية، ليصبح واحداً من الكتّاب السياسيين والاجتماعيين في العالم العربي، وهو على غير ما كان يتمنى! إذ أنه كان يتمنى أن يكون مقرئاً، لأنه كان صاحب صوت جميل، وكان دائماً يقرأ مُقلداً الشيخ «محمد رفعت»، فكان يتمنى أن يكون مقرئاً متألقاً مثله»[٢].

«عمل خالد في التدريس في وزارة المعارف، منذ عام ١٩٤٨، فلم يكن ممكناً أن يعمل في عام تخرجه ١٩٣٧، وذلك

(١) ثورة التراث (ص٢٧ ـ ٢٩).
(٢) لقاء معه في مجلة الشرطة المصرية ـ عدد ٦٨، بواسطة «ثورة التراث» (ص٣٠).

لانتشار وباء الكوليرا في ذلك العام، مما أعاق حركة التوظيف إلى حدٍ ما، وبقي في سلك التدريس حتى عام ١٩٥٤ . وكانت وظيفة مريحة، لأن التدريس كما يصفه المصريون عمل (داخل وخارج) الوظيفة، من حيث هو وظيفة، تأخذ مقابلها أجراً، ومن حيث هو لا وظيفة، فلا تتقيد بدوام معين دائماً.

ثم عمل بوزارة الثقافة مع علي أدهم في مشروع (الألف كتاب) وكان عمله في وزارة الثقافة كمستشار، أن يختار المواد التي يجب أن تُترجم، وتُراجع، وتُؤلف. ويختار كذلك المترجمين، والمراجعين، والمؤلفين.

وكان جمال عبدالناصر هو الذي أمر بأن يُعين خالد بوزارة الثقافة بعد ما كان صديقه! الشيخ «أحمد حسن الباقوري» وزير الأوقاف آنذاك يرغب في أن يأخذ خالداً معه في وزارة الأوقاف، وهكذا عمل خالد في وزارة الثقافة جنباً إلى جنب مع محمد علي باكثير، ونجيب محفوظ، أيام كان فتحي رضوان صديقه العزيز، أول وزير لها. ثم أشرف بعد ذلك على لجنة تحقيق التراث في الوزارة وأنجز عملاً طيباً في هذا المجال. وأثناء هذه الوظائف لم يكن يشعر بأنه موظف حقيقةً، فكان يأتي مكتبه متى يشاء ويغادره متى يشاء. ثم جاء يوم أراد خالد فيه أن يتحرر من

هذا القدر الضئيل من الوظيفة، لكي يتفرغ كليةً للكتابة والقراءة. وكان له ما أراد، فترك الوظيفة وأحيل على التقاعد عام ١٩٧٦»[١].

○ مصادر ثقافته:

تكونت ثقافة خالد محمد خالد ـ التي طبعت جميع مقالاته ومؤلفاته فيما بعد ـ من خلال مصدرين:

المصدر الأول: الثقافة الإسلامية التي استقاها من خلال دراسته في الأزهر ـ كما سبق ـ، مع ملاحظة أن هذه الدراسة الأزهرية يشوبها شيء من الغبش، حيث تُدرَّس العقيدة الأشعرية بدلاً من عقيدة السلف، وحيث لا يشتد النكير على دعاة التصوف ومروجيه، ولذا فقد أصاب خالداً شيءٌ من هذا الغبش أثَّر في كتاباته الإسلامية ـ كما سيأتي ـ.

المصدر الثاني: الفكر الأوربي فقد «قرأ فيه الكثير والتهمه التهاماً. فهو لا يجيد أي لغة أجنبية، لذا فقد قرأ هذا الفكر باللغة العربية.

قرأ «تاريخ الإنسانية» لويلز بأجزائه الثلاثة، وكتاب «حرية

---

(١) ثورة التراث (ص٣٦ ـ ٣٧).

الفكر» لبيوري المفكر الإنكليزي الملحد، و«قصة الحضارة» كاملة لديورانت، ثم ساهمت الروايات مساهمة كبيرة في التعرف على الفكر الأوروبي. فكانت «البؤساء» و«الأم» و«الحرب والسلام»، و«الأخوة كرامازوف» و«محتقرون ومهانون»، و«المعطف»، ومجموعة من قصص تشيكوف. ثم قرأ بعد ذلك «رأس المال» لماركس، ترجمة الدكتور راشد البراوي»[1].

ولعل كتاب خالد محمد خالد «أفكار في القمة» يصلح لأن يكون دليلاً يسترشد به الباحث والقارئ، ويدله على مدى خلط خالد بين الثقافتين: الإسلامية والغربية (المترجمة).

○ **كتبه:**

١ ـ من هنا.. نبدأ.
٢ ـ مواطنون.. لا رعايا.
٣ ـ الديمقراطية، أبداً..
٤ ـ الدين للشعب.
٥ ـ هذا.. أو الطوفان.

---

(١) ثورة التراث (ص٣٨).

٦ ـ لكي لا تحرثوا في البحر .
٧ ـ لله ، والحرية (ثلاثة أجزاء) .
٨ ـ معاً على الطريق محمد والمسيح .
٩ ـ إنه الإنسان .
١٠ ـ أفكار في القمة .
١١ ـ نحن البشر .
١٢ ـ إنسانيات محمد .
١٣ ـ الوصايا العشر .
١٤ ـ بين يدي عمر .
١٥ ـ في البدء كان الكلمة .
١٦ ـ كما تحدث القرآن .
١٧ ـ وجاء أبو بكر .
١٨ ـ مع الضمير الإنساني في مسيره ومصيره .
١٩ ـ كما تحدث الرسول .
٢٠ ـ أزمة الحرية في عالمنا .
٢١ ـ رجال حول الرسول .
٢٢ ـ في رحاب علي .
٢٣ ـ وداعاً . . عثمان .
٢٤ ـ أبناء الرسول في كربلاء .

٢٥ ـ معجزة الإسلام عمر بن عبدالعزيز .

٢٦ ـ عشرة أيام في حياة الرسول .

٢٧ ـ . . والموعد لله .

٢٨ ـ الجزء الثاني من : كما تحدث الرسول .

٢٩ ـ الجزء الثالث من : كما تحدث الرسول .

○ قصة كتابه «من هنا نبدأ»:

اشتهر خالد محمد خالد بين الناس بكتابه «من هنا نبدأ» الذي ألفه عام ١٩٥٠م قبل ثورة (٢٣يوليو) التي قادها مجموعة من الضباط بقيادة محمد نجيب وجمال عبدالناصر ، حيث تبنى في هذا الكتاب عدة آراء جريئة استغرب العقلاء صدورها من رجلٍ متخرج من الأزهر .

ملخص هذه الآراء :

١ ـ أنه يدعو في كتابه هذا إلى فصل الدين عن الدولة (أي العلمانية!) ويحمل حملة نكراء على من يسميهم (الكهنة) أو (رجال الدين)! متأثراً بما حدث لدى أمة النصارى في العصور الأخيرة عندما ثارت على سلطة الكنيسة المتسلطة باسم الدين .

فظن خالد أن ما حصل عندهم هو حاصلٌ عندنا نحن أمة الإسلام ، فلذا فقد سن قلمه وشحذ همته في التصدي لسلطة من

أسماهم «رجال الدين» في ديار الإسلام متوهماً أنه سيعيد سيرة (مارتن لوثر)!

وهو في هذا الطرح لم يأت بجديد، حيث سبقه إلى مثل هذا الرأي شيخٌ معمم من علماء الأزهر هو «علي عبدالرازق» الذي ألف كتاباً بعنوان «الإسلام وأصول الحكم» عام (١٩٢٦م) دعا فيه إلى ما ردده خالد فيما بعد من تنحية الإسلام عن الحكم فرد عليه علماء زمانه[1] وحاكموه وأخرجوه من زمرة العلماء نتيجة هذه الآراء الشاذة التي تعارض بدهيات الإسلام.

٢ ـ أنه يدعو إلى الاشتراكية باعتبارها أفضل وسيلة (للعدل الاجتماعي) مع لمزه المتواصل ـ في كتابه ـ لمبدأ «صدقة التطوع» الذي حث عليه القرآن والسنة لعدم ملاءمته!

يقول خالد: «إن اشتراكية الحقوق والواجبات، لا اشتراكية الصدقات هي التي تستطيع أن تجتاز بنا الأعصار،

---

(١) ممن رد عليه: الشيخ محمد الخضر حسين بكتاب: «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم». وقد طبعت المطبعة السلفية بمصر (عام ١٣٤٤هـ) حكم هيئة كبار العلماء في مصر في هذا الكتاب وقرارهم بطرد صاحبه.

وتهزم العاصفة، وتُبلغنا المرفأ السعيد»[١].

ويشنع على ما يسميه بالكهانة لأنها تدعو إلى الصدقات، مع أنه يعلم أن صدقة التصوع قد جاء بها الإسلام، وعظَّم أمرها وأجرها.

٣ ـ أنه يدعو إلى سفور المرأة وتحريرها حيث عدها رئةً معطلة في المجتَمع! متابعاً لما سبق أن دعا إليه قاسم أمين.

«فخالد لا يريد للمرأة أن تكون أماً، وراعية للبيت وحسب، ولا يريدها أن تكون حائكة، ومطرزة للثياب وحسب. ولا يريدها ممرضة أو طبيبة للنساء وحسب. وإنما يريدها سياسية، واقتصادية، واجتماعية، ومفكرة أيضاً، يريدها وزيرة، وسفيرة، ومديرة بنك، ومُصلحة اجتماعية. ومفكرة حرة، وعاملة في مرافق الحياة كافة»[٢].

يقول خالد: «إن النساء كنّ يجتمعن مع الرجال في مسجد رسول الله. وأن مناقشة موضوع جنسي، دارت علناً ذات يوم بين الفريقين، ورسول الله مثيرها وشاهدها»[٣]!!

---

(١) من هنا نبدأ (ص٥٥).
(٢) ثورة التراث (ص٢٧٨).
(٣) صورة التراث (ص٢٨٠).

هذه الأمور الثلاثة: العلمانية والاشتراكية وتحرير المرأة، هي ما يُشكل العمود الفقري لكتاب خالد محمد خالد «من هنا نبدأ» الذي ألفه عام ١٩٥٠م فأحدث به ضجة في زمانه، حيث تُعقبت آراؤه ورُدَّ عليه في تلكم الأمور السابقة.

وكان من أبرز من ردَّ عليه الشيخ محمد الغزالي في كتابه الشهير «من هنا نَعلم» حيث تعقبه في المسائل السابقة[1].

○ **تراجع خالد محمد خالد:**

لقد تراجع خالد محمد خالد عن بعض ما جاء في كتابه الآنف بعد ثلاثين سنة من تأليفه، أي في عام ١٩٨١م، وذلك عندما أصدر كتابه «الدولة في الإسلام» حيث قرر فيه بأن الإسلام دين ودولة.

يقول خالد في مقدمة كتابه هذا: «في عام ١٩٥٠م ظهر أول كتاب لي، وكان عنوانه: «من هنا . . نبدأ».

وكان ينتظم أربعة فصول، كان ثالثها بعنوان: «قومية الحكم» وفي هذا الفصل ذهبت أقرر أن الإسلام دين لا دولة،

---

(١) ثم جاء عبدالمتعال الصعيدي ـ وهو من مدعي التجديد في زمانه! ـ فرد عليهما جميعاً في كتابٍ بعنوان «من أين نبدأ؟».

وأنه ليس في حاجة إلى أن يكون دولة.. وأن الدين علامات تضيء لنا الطريق إلى الله وليس قوة سياسية تتحكم في الناس، وتأخذهم بالقوة إلى سواء السبيل. ما على الدين إلا البلاغ وليس من حقه أن يقود بالعصا من يريد لهم الهدى وحسن الثواب.

وقلت: إن الدين حين يتحول إلى «حكومة»، فإن هذه الحكومة الدينية تتحول إلى عبء لا يطاق. وذهبت أعدد يومئذ ما أسميته: «غرائز الحكومة الدينية» وزعمت لنفسي القدرة على إقامة البراهين على أنها أعني الحكومة الدينية في تسع وتسعين في المائة من حالاتها جحيم وفوضى، وأنها إحدى المؤسسات التاريخية التي استنفدت أغراضها ولم يعد لها في التاريخ الحديث دور تؤديه.

وكان خطئي أنني عممت الحديث حتى شمل الحكومة الإسلامية.

وقلت: إن غرائز الحكومة الدينية تجعلها بعيدة من الدين كل البعد، ولخصت هذه الغرائز في:

(١) الغموض المطلق، إذ هي تعتمد في قيامها على سلطة غامضة، لا يعرف مأتاها، ولا يدرك مداها، وصلة الناس بها يجب أن تقوم على الطاعة العمياء والتسليم الكلي والتفويض

المطلق .

(٢) ومن خصائصها ـ كما قلت يومذاك ـ أنها لا تثق بالذكاء الإنساني ولا تأنس له، ولا تمنحه فرصة التعبير عن ذاته، لأنها تخافه وتخشاه .

(٣) وهي لكي تقنع الناس بضرورة قيامها وبقائها تهيب بجانب الضعف فيهم، فتلقي في روعهم أن رواد الخير والحرية والفكر والإصلاح ليسوا سوى أعداء لله ولرسوله يحاولون نفي الدين عن المجتمع بنفي السلطة التي تمثله وتصونه .

(٤) والغرور المقدس من شر غرائز الحكومة الدينية، وهي لهذا لا تقبل النصيحة ولا التوجيه . بل ولا مجرد لفت النظر فضلاً عن المعارضة والنقد .

(٥) والوحدانية المطلقة أعتى غرائزها ـ وهي تحفزها إلى مكافحة الرأي مهما يكن حكيماً، وقتل المعارضة مهما تكن مخلصة نافعة .

(٦) والجمود الذي تتسم به يجعلها تضيق بكل جديد لأن صورة الدين في ذهنها مرتبطة بكل ما هو جامد وقديم .

(٧) والقسوة المتوحشة هي سيدة غرائزها وأكثرها عتواً ونفوذاً وأنها لتحز عنقك وتهرق دمك وهي تصبح من فرط

نشوتها: واها لريح الجنة.

هكذا ذهبت أنعت وأهدم ما أسميته يومها بالحكومة الدينية!

وهكذا أخذت كل خصائص ونقائص الحكم الاتقراطي الديكتاتوري وخلعته على ما أسميته «الحكومة الدينية»..!!

ولم أكنْ يومئذ أخدع نفسي ولا أزيف اقتناعي، فليس ذلك والحمد لله من طبيعتي. إنما كنت مقتنعاً بما أكتب مؤمناً بصوابه.

وحين أرجع بذاكرتي إلى الأيام التي سطرت فيها هذا الرأي وهذه الكلمات لا أخطئ التعرف إلى العوامل التي تغشتني بهذا التفكير.. والكاتب حين يحيا بفكر مفتوح بعيداً عن ظلام التعصب وغواشي العناد، فإنه يستطيع دائماً أو غالباً أن يهتدي إلى الصواب ويقترب من الحقيقة ويعانقها في يقين جديد، وحبور أكيد، ونحن مطالبون بأن نفكر دائماً، ونراجع أفكارنا، وننكر ذواتنا ونتخلى عن كبريائنا أمام الحقائق الوافدة.. وإذا لم نفعل فسنكون كما قال «أفلاطون»:

«مجانين، إذا لم نستطع أن نفكر..»!!

«ومتعصبون، إذا لم نرد أن نفكر..»!!

«وعبيد إذا لم نجرؤ أن نفكر . . »!!

وأحمد الله على أنني لست من المجانين، ولا المتعصبين، ولا العبيد . . ومن أجل هذا كان من اليسير عليَّ أن أستقبل في بشر ومودة هذا التفكير الجديد الذي واتاني من طول التأمل والتمعن وتقليب وجوه النظر في حياد سديد .

ترى ماذا كانت المقدمات التي أوصلتني إلى موقفي القديم من «الحكومة الدينية»، أو بتعبير أصح ماذا كانت البواعث النفسية والفكرية التي أفضت بي إلى ذلك الموقف . . !!

وأود ـ أولاً ـ أن أشير إلى أن تسمية «الحكومة الإسلامية» بالحكومة الدينية فيه تجن وخطأ . فعبارة «الحكومة الدينية» لها مدلول تاريخي يتمثل في كيان كهنوتي قام فعلاً، وطال مكثه، وكان الدين المسيحي يستغل أبشع استغلال في دعمه وفي إخضاع الناس له .

فالحكومة الدينية مؤسسة تاريخية نهضت على سلطان ديني بينما كانت أغراضها سياسية، وأصلت الناس سعيراً بسوء تصرفاتها وتحكمها . . وهي في المسيحية واضحة كل الوضوح بينما الإسلام لم يشهد في فترات استغلاله ما شهدته وما تكبدته

المسيحية، لاسيما في العصور الوسطى، عصور الظلام!!

ولعل أول خطأ تغشى منهجي الذي عالجت به قديماً قضية الحكومة الدينية، كان تأثري الشديد بما قرأته عن الحكومات الدينية التي قامت في أوروبا، والتي اتخذت من الدين المسيحي دثاراً تغطي به عريها وعارها.

أجل، فإني أستطيع أن ألخص بواعثي في ذلك التفكير القديم وأردها إلى عاملين اثنين ـ كان هذا أولهما.. التأثر بما قرأته عن الحكومة الدينية المسيحية، ولذلك تجدني أقول في كتابي «من هنا نبدأ»: «.. ففي الحكومات الدينية المسيحية ابتكرت وسائل التعذيب التي لا تخطر للشيطان نفسه ببال، فكان الخازوق، ووتد التشهير، وصلم الآذان، وتمزيق الجسد، ومحاكم التفتيش، وحرق العلماء بالنار وهم أحياء!!».

ثم قلت: «وفي الحكومات الدينية الإسلامية حدثت أهوال مروعة، حتى أن حاكماً دينياً واحداً ـ هو الحجاج ـ أباد البقية الكريمة الصالحة من صحابة رسول الله، حتى قال عنه عمر بن عبدالعزيز: «لوجاءت كل أمة بخطاياها، وجئنا نحن بنو أمية بالحجاج وحده لرجحناهم...!!».

إذن، فقد كنت في قمة التأثر ببشاعة وجرائم الحكومة

الدينية المسيحية، ثم عكست الصورة في غير حق على الحكام السياسيين في الإسلام واعتبرتهم حكومة دينية إسلامية . . ! !

ومضيت أدحض ما اعتبرته حكومة دينية في الإسلام بنفس القوة التي دحض بها الفكر الإنساني الرشيد الحكومة الدينية التي قامت في ظل الكنيسة وكانت أكثر خطراً على المسيحية من الشيطان نفسه ! !

من قال أن الحجاج حاكم ديني . . ؟ وهل في الإسلام كهنوت يستطيع أي حاكم أن يستمد منه سلطاناً مطلقاً وفي ذات الوقت يكون مقدساً . . ؟؟ لا . ومع هذا فقد اقتنعت قديماً بهذا الذي يبدو لي اليوم تجنياً وخطأ .

إن الإسلام حتى في فترات استغلاله من بعض الخلفاء والحكام لم يمنح أياً منهم سلطة بابوية كهنوتية، لأنه لا يتسع لأي كهنوت لا في تعاليمه ولا في تطبيقاته .

ومن أجل هذا كان تسمية الحكومات الإسلامية المنحرفة بالحكومة الدينية وتحميل الإسلام وزرها أمر مجاف لكل صواب . .

أما العامل الثاني الذي شكل تفكيري وموقفي من الحكومة الدينية فقد كان عاملاً موقوتاً بزمانه . ولكني جعلت منه

قاعدة عامة بنيت عليها حكمي القديم .

ذلك أن «الإخوان المسلمين» كانوا قد بلغوا خلال الأربعينات من الكثرة والقوة والنجاح مبلغاً يكاد يكون منقطع النظير .

كانت دعوتهم تسري بين الناس كالضوء، وكان الشباب بصفة خاصة يقبل عليها إقبال أسراب النحل على رحيق الزهور ! !

وذات يوم والجماعة في أوج مجدها الباهر ، لا ندري هل انبثق منها، أو أقحم عليها وتسلل إليها ما سمي يومئذ بالتنظيم السري .

وارتكب هذا الجهاز جرائم منكرة وتوسل بالاغتيالات لغرض الدعوة . . الدعوة التي كانت قد حققت بالإقناع والمنطق ما لم تحققه دعوة أخرى . . والدعوة التي كانت لباقة مرشدها الأستاذ حسن البنا رحمه الله وإخلاصه يفتحان له الآذان الصم والقلوب الغلف، ويسلسلان له قياد الجماهير كافتهم ومثقفيهم .

لفتت حوادث الاغتيال التي مارسها ذلك الجهاز السري انتباه الناس وروعت أفئدتهم . وكنت من الذين أقض مضجعهم

هذا النذير. وقلت لنفسي: إذا كان هذا مسلك المتدينين وهم بعيدون عن الحكم، فكيف يكون مسلكهم حين يحكمون؟؟!

وتذكرت كلمة المفكر الفرنسي «فولتير»:

«إن الذي يقول لك اليوم: اعتقد ما أعتقده وإلا لعنك الله، سيقول لك غداً: اعتقد ما أعتقده وإلا قتلتك»!!!

على أن ذلك الجهاز السريَ اختصر طريقه آنذاك فتخطى وتجاوز مرحلة اللعن إلى مرحلة القتل والاغتيال!!

كان هذا هو العامل الثاني الذي جنح بتفكيري إلى التحذير من قيام أي حكومة دينية باسم الإسلام.

وكان هذا خطأ آخر وقعت فيه..

كان الخطأ الأول مضاهاتي الحكومات الدينية الكنسية بحكم الإسلام.

وكان الخطأ الثاني تعميم نتائج ما اقترفه الجهاز السري باسم الإسلام.

وفي كلا الخطأين كان هناك خطأ في المنهج ذاته. فقد جعلت ما تأثرت به من قراءاتي عن الحكومة الدينية في المسيحية، وما تأثرت به من تحول بعض الشباب المسلم من

نساك إلى قتله.. جعلت هذا وذاك «مصدر» تفكيري، لا «موضع» تفكيري!! وفارق كبير بين أن تجعل الحدث أو الشيء مصدر تفكيرك وبين أن تجعله موضع تفكيرك.

عندما يكون مصدر تفكيرك فإنه يقودك في طريقه هو، لا في طريق الحقيقة. وتبصر نفسك من حيث تشعر أو لا تشعر مشدوداً إلى مقدمات، وسائراً نحو نتائج لم يأخذ الاستقلال الفكري حظه في تمعنها ودراستها.

أما حين يكون الشيء موضع تفكيرك فإنه يمد تفكيرك المحايد والمستقل بكل اعتبارات القضية المدروسة دون أن يلزمك بحكم مسبق يتحرك الفكر داخل إطاره الحديدي الصارم.

إلى هذا السبب الجوهري أرد خطئي فيما أصدرته ـ قديماً ـ من حكم ضد الحكومة في الإسلام، هذه التي أسميتها بالحكومة الدينية»[١].

هذا ما قاله خالد محمد خالد بعد ثلاثين سنة من تأليفه كتاب «من هنا نبدأ» عندما انكشفت الغشاوة عن عينيه فعلم أن

---

(١) الدولة في الإسلام (ص٩ ـ ١٦).

الإسلام دين ودولة وأنه لا مقارنة بينه وبين دين الكنيسة المحرَّف الذي قاد الناس في أوربا إلى العلمانية.

أما السبب في تراجعه هذا فقد ذكره فيما سبق، مع أن العاقل لا يُغفل دور تعاظم المد الإسلامي خلال فترة السبعينات في هذا التراجع الطارئ على خالد! حيث كان كثير من الكتاب في تلكم الفترة وما قبلها تسير أشرعة كتاباتهم مع الريح أينما توجهت:

يـومـاً يمـانٍ إذا لاقيـت ذا يمـنٍ
وإن لقيـت معـديـاً فعـدنـانِ

يقول الدكتور شاكر النابلسي ملمحاً إلى شيء من هذا: «شهدت السبعينات في مصر والعالم العربي عودة ما سُمي بالجماعات الإسلامية، وعلى رأسها «الإخوان المسلمون» الذين كانوا قد اضطهدوا، وشردوا، وسجنوا، وقتلوا في عهد عبدالناصر، وقد بلغت قوة أنشطة هذه الجماعات أوجها باغتيال الرئيس السادات في عام ١٩٨١، مما أخاف بعض المفكرين وعلى رأسهم خالد محمد خالد من تزايد نشاط هذه الجماعات، وأن العودة إلى ربط الدين بالدولة وتطبيق الشريعة من شأنه أن يحد من العنف السياسي ونشاط هذه الجماعات، لذا فقد طالب

خالد في عام ١٩٨٥ وما بعد ذلك، بتطبيق الشريعة الإسلامية فوراً، درءاً لشر الجماعات الإسلامية!!

ففي حين طالب خالد في عام ١٩٥٠ بفصل الدين عن الدولة نتيجة للإرهاب والعنف السياسي الذي قامت به الجماعات الدينية في الأربعينات، جاء في ١٩٨١ ووصل الدين بالدولة نتيجة أيضاً للإرهاب والعنف السياسي الذي ساد السبعينات وبدء الثمانينات، وتتوج باغتيال السادات، ومن قبله وزير الأوقاف المصري الشيخ الذهبي»[١].

وليُعلم بعد هذا أن خالد محمد خالد إنما تراجع في كتابه «الدولة في الإسلام» عن قضية فصل الدين عن الدولة، حيث استبدلها بالانحياز التام نحو الديمقراطية! ـ كما سيأتي ـ أما قضية الاشتراكية وتحرير المرأة فلم يتراجع عن شيء مما ذكره في كتابه «من هنا نبدأ» حيث بقيت هذه الأفكار عالقةً بكتاباته القادمة ـ كما سيأتي أيضاً ـ.

○ خالد والدعوة إلى تحرير المرأة:

سبق أن قلت بأن خالد محمد خالد لم يتراجع عن دعوته

---

(١) ثورة التراث (ص٣٠٦).

إلى تحرير المرأة المسلمة حسب ما جاء في كتابه «من هنا نبدأ»، ومما يؤكد هذا أنه ما زال يُردد هذه الأقوال في المقابلات التي أجريت معه فيما بعد، وإليك الأمثلة:

قال في كتابه: «الدين للشعب»[١]: «سيدتي: إن العمل يجلو الشخصية، ويجدد شبابها، ويجعلك في المجتمع خيراً لا غنى عنه، بدلاً من أن تكوني شراً لابد منه. لماذا تنعم الأسرة في البلاد المتحضرة ولا تتدغدغ تحت مطارق الشقاء والفاقة؟

لأن الرجل يعمل ويكسب، والمرأة تعمل وتكسب.

تعلمي كل شيء.. واعملي أي شيء..»!!

ويقول عادًا النقاب من مظاهر التطرف!

«إن النقاب مظهر من مظاهر التطرف الديني. فالإسلام على لسان رسوله الأمين، كان له رأي صريح وواضح في حجاب المرأة، لا في نقابها، فهو لم يعرف النقاب أبداً. وهذا الرأي هو: «إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يحلَّ أن يرى منها إلا هذا، وهذا.. وأشار إلى وجهه وكفيه».

وانتهى أمر حجاب المرأة.

---

(١) (ص٧٢) دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧٢.

فلماذا كل هذا التطرف . . ؟»[١] !

قلت: كذب خالدٌ ـ والله ـ في قوله بأن الإسلام: «لم يعرف النقاب أبداً»! فقد قال ﷺ: «**لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين**»[٢].

وهذا دليل على أنهم كانوا يعرفون النقاب في عهد النبي ﷺ، لا كما يزعم خالد بأنهم لم يعرَفوه (أبداً).

وهم إن لم يكونوا يعرفونه ـ كما يزعم ـ فهم يعرفون ما هو أشد منه وأكثر تطرفاً ـ عند خالد وأمثاله من المتحررين والمتحررات ـ ألا وهو غطاء الوجه، كما بين ذلك العلماء[٣].

وحديث أسماء السابق الذي هو عمدة المتحررين هو حديث ضعيف جداً سنداً ومتناً، وليس هذا موضع

---

(١) ثورة التراث (ص٣٤٧) ناقلاً لها من مخطوط كتابٍ لخالد بعنوان «التطرف الديني»!

(٢) أخرجه البخاري (١٨٣٨).

(٣) انظر أدلة حجاب المرأة ووجوب تغطيتها لوجهها: كتاب «عودة الحجاب» للشيخ محمد بن إسماعيل المقدم ـ حفظه الله ـ حيث حشدها مع كلام العلماء في موضع واحد، وأقام الحجة على مرضى القلوب ممن يتتبعون شواذ العلماء لهوىً في نفوسهم.

التفصيل[١].

ثم إنه لم يعد خافياً على أحد ما جنته المرأة في البلاد (المتحضرة!) التي أُعجب بها خالد، من جراء خروجها للعمل دون ضوابط، وتركها وظيفتها الأساسية التي هيأها الله لها. لم يعد هذا خافياً على أحد، ولكن خالداً كغيره من المنبهرين من تطور الغرب (المادي) ظنوا أن هناك علاقة بين (تحرر المرأة) و(التطور المادي) فعندهم أنه كلما ازداد تحرر نساء مجتمع من المجتمعات ازداد المجتمع تطوراً!

وهذا خلط ولبس في الفهم لم يعد ينطلي على عاقل، حيث عرف الجميع أن لا علاقة بين الأمرين ألبتة، وأن التطور المادي للمجتمعات له أسباب أخرى لا دخل فيها بموضوع المرأة، ملخصها:

١ - أن يهتم المجتمع باستثمار ما لديه من ثروات ادخرها الله في الأرض، دون استحواذ أو إسراف.

٢ - تشجيع المواهب والعقول النابغة من أبناء المجتمع بتهيئة ما يحتاجون إليه في سبيل نجاحهم في تنفيذ أفكارهم

---

(١) انظر المصدر السابق (٣/ ٣٣٦).

ومواهبهم، دون وضع العوائق والقيود عليهم، أو الحذر منهم.

٣ ـ جلب ما يحتاجه المجتمع من عقول متطورة أو (تكنولوجيا) حديثة، ثم محاولة استلهام ذلك كله بعقول محلية، ليصبح المجتمع منتجاً لا عالةً على الآخرين.

ثم قال خالد موضحاً الأعمال التي يحبذ للمرأة أن تعمل فيها:

«ـ يمكن أن تكون المرأة وكيلة نائب عام، على أساس أن الإسلام يعتبر المرأة إنساناً له حق التملك، وله حق التصرف، وله حق التوكل والتوكيل.

فإذا جاز للمرأة أن تُخاصم غيرها أمام القضاء، وترفع الدعوى باسمها، فإنه يجوز لها بالتالي أن تكون وكيلاً عن غيرها في رفع الدعوى، وهو ما يسميه الفقهاء «الوكالة بالخصومة» وهذا هو عمل وكيل النائب العام[1].

ـ يمكن للمرأة أن تكون قاضية. فحق المرأة في مناصب القضاء، يزكيه أولاً: «قاعدة الأصل في الأشباه الإباحة» ويزكيه ثانياً أن الإسلام مكّن المرأة من الإفتاء.

---

(١) الديمقراطية أبداً (ص٢٣٠).

وكل زوجات الرسول كنّ مفتيات[١].

ـ للمرأة أن تكون نائبة في البرلمان، فما دامت تدفع الزكاة، والزكاة ضريبة، فمن حق دافع الضرائب، أن يختار الذين سينفقونها»[٢].

قلت: وهذه كلها أقيسة عقلية لا عبرة بها مع وجود الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة التي تَمنع (اختلاط) الرجال بالنساء وأن تكون المرأة بَرْزةً تتولى شئون الرجال، ويكفي منها قوله تعالى مخاطباً النساء: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[٣] وقوله ﷺ: «**ما أفلح قومٌ ولوا أمرهم امرأة**»[٤] ولا يفهم من هذا أن الإسلام يهضم حق المرأة، أو يظلمها بهذا الصنيع، لا، إنما هو يُشَرِّع ما فيه حفظها وسترها واستقرارها، وأن تلازم ما يناسبها من أعمال، لأن في صلاحها صلاحاً للمجتمع كله[٥].

---

(١) المصدر السابق (ص٢٣٢).

(٢) المصدر السابق (ص٢٣٧).

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٤) أخرجه البخاري.

(٥) وانظر الرد التفصيلي على شبهات من دعا إلى هذه الأعمال التي دعا خالد المرأة أن تتولاها كتاب «المرأة والحقوق السياسية في الإسلام» لمجيد أبو حجير.

قلت: ومما يؤكد أن خالداً لم يتراجع عن دعوته إلى تحرير المرأة التي سبق أن دعا إليها في كتابه «من هنا نبدأ» أنه ينادي بالاختلاط بين الرجال والنساء في التعليم وفي العمل، أي «أن نأخذ بالاختلاط بين الجنسين كفلسفة، ومنهاج اجتماعي»[١].

ومما يشهد لهذا أيضاً قوله مهيجاً النساء تحت عنوان «سيري مع القافلة» في كتابه «الدين للشعب»: «يجب أن تشحذ الفتاة الجديدة جميع إمكانياتها حتى تؤدِّي ضريبة الهواء الذي نتنشقه من سماء مصر.. والماء الذي نشربه من نيل مصر.. والعبير الذي نشمه من تراب مصر.

ويجب إذا وضعت قدمها على عتبة المدرسة ألا تغادرها حتى تقطع الشوط كاملاً.. وحتى تتزود من الثقافة بحظ وافر يمكنها من أن تعمل كما يعمل الرجل، وتكسب كما يكسب.

إن الفتاة التي تستطيع أن تكون زوجة وكاسبة تسدي لزوجها ولبيتها وبنيها أجل الخدمات. إذ ترفع مستوى دخل الأسرة، فيرتفع منسوب حياتها.

(١) «هذا أو الطوفان» نقلاً عن «ثورة التراث» (ص٢٦٧).

سيدتي: إن العمل يجلو الشخصية ويجدد شبابها، ويجعلك في المجتمع خيراً لا غنى عنه، بدلاً من أن تكوني شراً لا بد منه.

لماذا تنعم الأسرة في البلاد المتحضرة[١]، ولا تتدغدغ تحت مطارق الشقاء والفاقة؟

لأن الرجل يعمل ويكسبَ، والمرأة تعمل وتكسب، والأبناء القادرون يعملون ويكسبون، حتى طلاب المدارس والجامعات... يقضون عطلة الصيف في حرف يجمعون بها نفقات العام الدراسي المقبل.

أما هنا.. في بلادنا؛ فإن رجلاً واحداً هو الزوج.. ينوء كاهله المضْني بنفقات أسرة كاملة عاطلة، فيذبل شبابه، ويهرم عزمه، ويموت قبل الأوان مخلفاً وراء ظهره المنقوض سيدة مترهلة من السمنة والاكتناز.

تعلمي كل شيء.. واعملي أي شيء[٢]..»[٣].

---

(١) لا والله، بل هي في شقاء، ولكن عين الرضى تخفي العيوب! ولاحظ قوله: (المتحضرة)!

(٢) أيَّ شيء!! لا أدري: هل كان خالد في وعيه عندما كتب هذا؟!!

(٣) (ص٤٩ ـ ٥٠).

قلت: مفاسد حركة تحرير المرأة التي ينادي بها خالد محمد خالد لم تعد خافية على من تبصر أحوال المجتمعات التي قطعت شوطاً في هذا التحرير المزعوم؛ حيث لم تجن المرأة المسكينة منه سوى الشقاء والتعب، ومراغمة الفطرة والشرع، بعد أن انساقت مع هذه الدعوة المضللة التي وعدتها بالحصول على الرقي والسعادة؛ فإذا هي تفيق على واقع مرٍّ لا تُحسد عليه، عندما آثرت الخروج من مملكتها وحصنها سافرةً مسترجلة تزاحم الرجل في عمله وشؤونه الخاصة به، ففقدت بذلك بريقها ووهجها، فلم يعد الرجلُ يراها سوى سلعة من السلع ولعبة من اللعب عما قريب تُستهلك وتُلقى دون أن يأبه بها أحد، إضافة إلى ما سببه هذا الخروج والمزاحمة من إحن بين الجنسين (الرجل والمرأة) حيث انتفت نظرة التكامل بينهما، لتتحول إلى نظرة تنافس وتضاد.

* * *

الأفكار الكبرى
عنـــــد
خالد محمد خالد

لكل باحث أو مؤلف عدة قضايا كبرى اقتنع بها، تمثل محور أفكاره التي قضَّى عمره في سبيل الدعوة إليها، أو المنافحة عنها، وخالد محمد خالد أحد هؤلاء المؤلفين الذين آمنوا واقتنعوا ببعض الأفكار المختلفة، ثم أخذوا يرددونها بأساليب شتى في كتبهم، وقد حاولت من خلال التأمل في كتب خالد ومقالاته أن أحدد هذه الأفكار التي دندن خالدٌ حولها؛ لكي يعلمها القراء وما عليها من ملاحظات شرعية.

فأقول مستعيناً بالله:

أولاً: الدعوة إلى «الإنسانية»

ألح خالد محمد خالد في مؤلفاته كثيراً على مبدأ الإنسانية ومايتبعه من قضايا جانبية، معيداً ومردداً له في شتى الأشكال والقوالب.

فهو يدعو إلى النظر إلى الإنسان من حيث هو إنسان، بغض النظر عن دينه وعقيدته.

فالجميع في نظره إخوة متساوون!.

والجميع ـ في نظره ـ لهم هموم مشتركة، ينبغي العناية بها، وأن لا يكون اهتمامنا منصباً على فئة دون أخرى.

والأصل في الجميع ـ عنده ـ أنهم إخوة متحابون، يتكاتفون في سبيل إعمار الأرض والإبداع في الحياة.

والجميع ـ في نظره ـ يوجد فيهم عظماء(١) ينبغي إدراجهم سوياً دون تحيزٍ لأحد، لأنهم يمثلون عظمة الإنسانية.

---

(١) من الرسل أو من غيرهم من آحاد البشر! فلا فرق عنده ـ كما سيأتي ـ.

ولأجل هذا كله أحلَّ خالدٌ الإنسانية محلاً عظيماً في فكره واهتماماته، وجعلها بديلاً للأديان، كما سيأتي من كلامه، والعياذ بالله.

ولأجل هذا ـ أيضاً ـ ساوى ما بين أنبياء الله ورسله الكرام وغيرهم من الملحدين والمشركين والكفرة؛ كبوذا وغاندي وسقراط وغيرهم ـ كما سيأتي ـ.

ولبيان عمق أثر هذه الفكرة في نفس خالد فقد خصص لها مؤلفات مستقلة وفصولاً من كتبه للدعوة إليها، ونشرها بين المسلمين.

فمن ذلك:

١ ـ كتابه «معاً على الطريق: محمد والمسيح» دعا فيه إلى مساواة النصارى بالمسلمين، وأن الجميع إخوة ضمن منظومة الإنسانية.

٢ ـ كتابه: «إنه الإنسان» يدور حول هذه الفكرة ـ وستأتي نماذج منه ـ إن شاء الله.

٣ ـ كتابه «نحن البشر» ملخصه: «أن العالم هو قريتنا» جميعاً دون فرق، فينبغي علينا تقديم مبدأ الإنسانية على غيره من المبادئ.

٤ ـ كتابه «مع الضمير الإنساني في مسيره ومصيره».

٥ ـ كتابه «إنسانيات محمد»[١]: حاول فيه ـ بمكر لا يخفى ـ أن يربط هذه الدعوة «الباطلة» بل «الكافرة» كما سيأتي بأقوال خير البشر ﷺ، لكي يتقبلها المسلمون بقبول حَسَن.

٦ ـ خصص فصلاً كاملاً مطولاً من فصول كتابه «الوصايا العشر» للدعوة إلى هذا المذهب، عنوانه «أهلت عصور الحب.. فودع الكراهية».

أما أقواله ومواقفه فإليك شيئاً منها:

ـ يقول في مقدمة كتابه: «محمد والمسيح»: «الواجب الذي كرست له أو أريد دوماً أن أكرس له حياتي... هو: الإسهام في حماية الإنسان والحياة من الكذب ومن العجز ومن الخوف»[٢].

ـ ويقول عن محمد وعيسى ـ عليهما السلام ـ: «إذن،

---

(١) ﷺ! وخالد يبخل بالصلاة على رسول الله ﷺ في كثير من أقواله وأسماء كتبه كـ «لقاء مع الرسول» و«كما تحدث الرسول» و«رجال حول الرسول» و«خلفاء الرسول»... إلخ، ولعل هذا من مستلزمات الدعوة إلى «الإنسانية» دون تعصب!!

(٢) (ص٧).

فالإنسانية هي الجنسية المشرفة التي يحملها المسيح، ويحملها أخوه، وهما بها جدّ فخورَيْن»[١].

ويقول:

«صادفتني أمس صورة مشرقة من صور التسامح الفذ، والإيمان المستنير . .

كنت في زيارة فضيلة الأستاذ الشيخ الباقوري، وأطلعني على نماذج من الوقف الخيري الذي حبسه مسيحيون على أغراض إسلامية خالصة . .

وأنا من الذين يزدادون إيماناً بالإنسانية واحتراماً لها، كلما سمعت التعصب يئن ويتوجع من أثر ضربة سددها إليه إنسان رشيد!!

لهذا، فرحت كثيراً بهذه الظاهرة، وأردت للقراء أن يفرحوا معي.

انظروا . .

* وقف نجيب نوفل.

---

(١) (ص٧٢).

يصرف ريعه على مدرسة، ومستشفى، وملجأ لتعليم وعلاج الفقراء لا فرق بين مسلم ومسيحي من أي مذهب . . .

* وقف ماري أوجستين.

يصرف منه نصفه على فقراء المسلمين في عيد الهجرة النبوية كل عام!!

* وقف ماتينا اسكندر.

يصرف ريعه على جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية بالإسكندرية!!

* وقف الخواجه جون ريس.

يصرف ريعه على جمعية المحافظة على القرآن الكريم!!

إن في روح أمتنا العظيمة صلابة هائلة ضد الفرقة، وضد الخذلان . . وإنها لتصب من روحها هذا في قلوب بنيها، وفي أفئدة الأجانب الذين يعيشون فوق تراثها الوديع الطيب . . »[١].

ويقول[٢]: «وعرفت البشرية الحق وفتحت بصرها عليه،

---

(١) لله والحرية (ص٩٤ ـ ٩٥).
(٢) الوصايا العشر (ص١٥ ـ ١٦).

حين عرفت أن الحب يعني بالنسبة لها ما تعنيه الحياة ذاتها. وحين أدركت أنه **لا الدين**، **ولا الوطن ولا اللون**، **ولا الدَم**، **ولا** أي شيء في الدنيا من حقه أن يدفع بالمحبة إلى الوراء. . !!

ووقف واحد من الأفذاذ ـ هو محيي الدين بن العربي[١] ـ يعبر عن هذه الحقيقة، **فيقول**:

لقد كنت قبل اليوم أُنكِر صاحبي
إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعىً لغزلان، ودِيرٌ لرهبان
وبيتٌ لأوثان وكعبةُ طائف
وألواحُ توراةٍ ومصحف قرآن
أدينُ بدينِ الحبّ أنّى تَوجَّهتْ
ركائبه. . فالحب دِيني وإيماني»

ويقول خالد ـ أيضاً ـ: «إن شر ما يصيب البشرية من تمزق وخلاف، إنما يحدث يوم تعزل الإنسان عنها وتنساه.

---

(١) هو الصوفي الملحد الداعي إلى وحدة الوجود ووحدة الأديان:
ابن عربي بدون (أل) التعريف، للتفريق بينه وبين ابن العربي المالكي صاحب «العواصم».

فمعظم نزاعنا الديني والعلمي والمذهبي كثيراً ما يسببه أننا نتعامل كما لو كنا عوالم شتى متنافرة. . . ولسنا صفاً واحداً تتوسطه حقيقة معلومة هي الإنسان»[١].

ويقول محرِّفاً حديث رسول الله ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»**.

يقول خالد: «الإنسان لأخيه الإنسان كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[٢]!!

ويقول: «إن جميع الناس إخوة»[٣]!

ويقول كاذباً على رسول الله ﷺ: «إن محمداً يحب الناس جميعاً»[٤]!!

ـ ولأجل هذا المذهب الباطل الذي اعتنقه خالد وجدناه يقارن ما بين رسول الله ﷺ وغيره من البشر، بل أراذلهم من الفلاسفة والكافرين.

---

(١) إنه الإنسان (ص٣٠).
(٢) الدين للشعب (ص١٠٥).
(٣) كما تحدث الرسول (ص١٦٦).
(٤) إنسانيات محمد (ص١١٥).

فعنده أنه كما أن الرسول ﷺ عظيم من عظماء الإنسانية! فكذلك غيره من المشاهير كبوذا وغاندي وسقراط وغيرهم هم من عظماء الإنسانية، فالجميع سواسية! ولكن الفرق هو في المجال الذي خُدِمت به الإنسانية!!

فكما أن الرسل ـ عليهم السلام ـ وفي مقدمهم محمد ﷺ خدموا الإنسانية برسالاتهم[١] فكذلك الفلاسفة والحكماء والمفكرون خدموا الإنسانية بأقوالهم ودعواتهم.

ولهذا نجده ـ في معظم كتبه ـ يقارن ما بين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وما بين هؤلاء الحكماء والفلاسفة والمفكرين.

كقوله في كتابه «إنه الإنسان»: «انبثق ذات يوم من موكبنا الصاعد عمالقة تترى.. فيهم الأنبياء الذين يقلبون وجوههم في السماء فتلهمهم[٢] الهدى والفرقان..

وفيهم الفلاسفة الذين يتساءلون: كيف...؟ ولماذا..؟

(١) مع ملاحظة أن خالداً يركز في هذه الخدمة على المعاني «الإنسانية» المشتركة: كالحب والتسامح والحرية والعدل و... إلخ بما يشابهها بغيرها من دعوات الحكماء والفلاسفة!

(٢) بل الله يوحي إليهم.. لا السماء!

وفيهم الفنانون الذين تُرجي أناملهم الرقيقة سر الطبيعة وذكاءها ومنهم العلماء الذين أخرجوا خِبء المجهول، وأسرَّ إليهم الكون بقوانينه.

وتغشَّانا من العجب ما تغشَّى..

لم يكن عجَبُنا، كيف وُجد هؤلاء؟ إنما كان: كيف وُجدوا فينا.. كيف خرجوا من بين صفوفنا..

كيف خُلقوا من طينتنا..؟؟

إنهم معنا على ذات الأرض التي نمشي جميعاً في مناكِبها..

وإنهم ليحملون مثلما نحمل ميراث جميع الأسلاف الذين سبقونا.

فكيف تفوّقوا..؟ وكيف تألَّقوا..؟ وكيف اتخذوا طريقهم إلى السماء صاعدين..؟

وكان هذا الحِسُّ، نقطة انطلاق عارم. وبدأنا ندرك الغرض العظيم الذي خُلقنا لنَبْلُغه. وعرفنا الشيء الذي يسوقنا إلى لقائه..

ولم يكن سوى الإنسان . . !»[١].

قلت: وانظر زيادة في هذا:

- كتابه: «الدين للشعب» (ص٧٨ - ٨١).

- وكتابه: «كما تحدث القرآن» (ص١٧٨ - ١٧٩).

- وكتابه: «أفكار في القمة».

- وكتابه: «إنه الإنسان» (ص٨ و ١٦ و ١٨ و ٤١ - ٤٢ و ٦٦ - ٦٧).

- وكتابه: «محمد والمسيح» (ص٢٠ - ٢٤ و ٢٦ - ٢٩).

○ **تعقيب**:

بعد أن عرفنا مدى تغلغل مذهب الإنسانية في ذهن خالد وفكره حيث لم يعد يرى سواه (جامعاً) بين البشر كلهم، مؤمنهم وكافرهم، تقيهم وفاجرهم، بقي أن نعرف حكم هذا المذهب الباطل.

فأقول: لا يخفى على من عرف أصول الإسلام أن مذهب (الإنسانية) مناقضٌ لما علم بالضرورة من دين الإسلام؛ لأنه

---

(١) إنه الإنسان (ص٨ - ٩).

يساوي بين المسلم والكافر، بل يُفَضل الكافر ـ أحياناً ـ على المسلم.

ولأنه يجعل أنبياء الله ورسله عليهم السلام في كفةٍ مع رؤوس الكفر والإلحاد ممن يسميهم خالد بالفلاسفة والحكماء.

ولأنه لا عبرة عند معتنقيه بدين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده ليكون خاتماً لجميع الأديان السابقة، فهو عندهم كغيره من الأديان، بل المذاهب التي هي من وضع البشر.

وكل هذا ـ كما سبق ـ مناقض لما علم بالضرورة من دين الإسلام؛ حيث أن الفارق في دين الإسلام بين البشر هو دينهم، فلا أخوة أو مساواة بين مسلم وكافر ولا بر وفاجر؛ لأن الله يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[1] ويقول: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[2] ويقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[3].

---

(١) سورة القلم: ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة ص: ٢٨.

(٣) سورة الحجرات: ١٠.

فمذهب الإنسانية مذهب باطل وكفري، لأنه يساوي بين من فرَّق الله بينهم، ويُحَقِّر من دين الإسلام الذي «يعلو ولا يعلى عليه»[(١)]، ويلغي مبدأ الولاء والبراء من قاموس معتنقيه.

يقول الشيخ محمد قطب ـ حفظه الله ـ: «ولكن أناساً قد يُخدعون بدعوى الإنسانية لما فيها من بريق، فيؤمنون بها أو يدعون إليها غافلين عن الحقيقة التي تنطوي عليها، وقد لا يصدقون أصلاً أنها دعوة إلى التحلل من الدين يبثها الشياطين في الأرض لأمر يراد»[(٢)].

ويقول الشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ عن الإنسانية: «اتسع انتشار هذه اللفظة البراقة بين المسلمين عامتهم وخاصتهم، ويستملح الواحد نفسه حين يقول: عمل «إنساني». وهكذا حتى في صفوف المتعلمين والمثقفين، وما يدري المسكين أنها على معنى «ماسونية»، وأنها كلمة يلوكها بلسانه، وهي حرب عليه، لأنها ضد الدين، فهي دعوة إلى أن نواجه

---

(١) قال ﷺ: «الإسلام يعلو ولا يُعلى» أخرجه الدارقطني والبيهقي، وحسنه الألباني في الإرواء (١٢٦٨).
(٢) مذاهب فكرية معاصرة (ص٥٩١).

المعاني السامية في الحياة بالإنسانية لا بالدين»[١].

قلت: وانظر لبطلان هذه الدعوة: كتاب (مذاهب فكرية معاصرة) للشيخ محمد قطب، وكتاب (الإسلام والدعوات الهدامة) للأستاذ أنور الجندي.

* * *

(١) معجم المناهي اللفظية (ص٨٧).

ثانياً: الدعوة إلى الحرية

الفكرة الثانية التي ترددت في كتابات خالد محمد خالد هي الدعوة إلى «الحرية»، وهي مصطلح عام يشترك جميع الناس في السعي إلى تحقيقه؛ لأن الإنسان بطبعه يأنف من الرق، كما أنه مصطلح يختلف باختلاف الأشخاص والمجتمعات.

وهو مصطلح شأنه شأن المصطلحات الأخرى التي تشتمل على جانب إيجابي وآخر سلبي، فلابد من تفصيل القول فيه من الداعي إليه، ليعلم المتلقي ماذا يُراد به.

أما خالد فلم يضبط هذا المصطلح بضوابط شرعية؛ فنتج عن هذا أنه دعا إلى حريةٍ تخالف الإسلام.

فلنستمع إلى أقواله:

يقول خالد: «إن ولاءنا للحرية»[١].

ويقول:

---

(١) الوصايا العشر (ص٨).

«أيها الناس عيشوا أحراراً. . !!

فالإنسان على ظهر هذا الكون، هو خليفة الله. . خليفة تلك القوة القادرة الحكيمة، يحيا الكون كله في كنفها، ويمضي في حركة وفق قوانينها.

هو أستاذ حياته، وصانعها، والمسؤول عنها.

ومسؤولية الإنسانية عن الحرية، تتكون من مسؤولية الجماعات الإنسانية، والفرد الإنساني.

فكل أمة تسمح بالانتقاص من نفوذ الحرية في داخلها، تهدم صرحاً كبيراً من الحرية خارجها.

وكل فرد يسمح بمقاومة الحرية داخل ذاته، يهدم من الحرية بقدر ما تخلّى عن حريته.

الحرية هي الحرية. .

بديهية تجلّ عن التعريف. . .

ونحن حيال البحث عن تعريف للحرية، نقف موقف القديس أوغسطين حينما سُئِل عن الزمان، فأجاب قائلاً:

«أنا أعرف الزمان، ما لم أُسأل عنه، فإذا سُئلت عنه، فإني لا أعرف عنه شيئاً. . !».

فهناك بديهيات تفرض نفسها على العقل الإنساني، ولا تكلفه عناء التفكير في بحثها، أو تعريفها. .

والحرية إحدى هذه البديهيات. . بل على رأسها. .

فالحرية حق طبيعي، بل إنها حق إلهي، أعطاه الله لخلقه من بني الإنسان. . »[١].

ويحدد خالد أشكال الحرية التي يريد إطلاقها، وهي:

١ - حرية الفكر.

٢ - حرية الرأي.

٣ - حرية العقل[٢].

أما حرية الفكر - وهي ما يهمنا أمره - فيعني بها أن يسمح المجتمع الإسلامي لكل صاحب فكرة أن يقولها ويدعو إليها، مهما كانت هوية هذه الفكرة!

فلا حرج عنده أن يبث صاحب الفكر الإلحادي فكره في

(١) الحرية لا التسامح، مقال بمجلة الدوحة ١٩٨٥ - عن ثورة التراث (ص١٤٧).

(٢) ثورة التراث (ص١٥٣).

مجتمع المسلمين، وهكذا صاحب الفكر الديني المحرف كالنصرانية واليهودية والفرق الضالة، وهكذا صاحب الفكر المنحل وهكذا.. وهكذا.. دون أي ضوابط، بل ومطالبة المجتمع بتوفير الحماية لهم! والسماح للغزو الفكري أن يلج ـ كله ـ إلى ديار المسلمين.

وحجته في هذا كما يقول: «أن الفكرة الخاطئة لا يدحضها إلا فكرة محقة»[(١)].

قلت: وهذا سوء فهم منه لمنهج الإسلام في مواجهة الأفكار الباطلة أداه إلى أن يأذن ويرضى بنشر الكفر والضلال بين أبناء المسلمين، تحت دعوى متهافتة.

والجميع يعلم أن الإسلام قد جاء بمواجهة الباطل ودحضه، ولكنه لم يجيء ليصرح ويأذن لهذا الباطل أن يغزو بلاد المسلمين تحت سمعه وبصره ثم يقوم بمواجهته بعد أن مكنه من الوصول إلى قلوب بعض المسلمين الذين قد يتأثرون بشبه أهل الباطل المزخرفة، والله يقول: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ﴾[(٢)].

---

(١) ثورة التراث (ص١٧٨).
(٢) التوبة: ٤٧.

نعم . . الإسلام يدحض الأفكار الباطلة إذا ظهرت ولكنه لا يسمح لها (بحرية) التجول بين عقول المسلمين، بل يحجبها عنهم ويحذرهم منها رحمةً بهم أن ينحرفوا عن الصراط المستقيم عندما يتم تعريضهم لفتنة الأفكار المضلة .

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة مؤكدة لهذا الأمر عندما أمرت المسلم بأن لا يلقي بنفسه إلى التهلكة[١] .

وأن لا يعرض نفسه للفتن[٢] .

وأن لا يتمنى لقاء العدو[٣] . . . إلى آخر النصوص الكريمة .

قد يقول قائل[٤] بأن هذا دليل عدم ثقة الإسلام في عقول أبنائه عندما حماهم من مواجهة أفكار الآخرين كما يحمي الكبير صغيره الذي لم يبلغ الحُلم .

فأقول: بل هذا شرف وفخر للإسلام العظيم الذي اهتم

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ .
(٢) كما في قوله تعالى توبيخاً للمنافقين ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ .
(٣) كما في قوله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو» أخرجه البخاري ومسلم .
(٤) هذه من أبرز شبهات (أهل الردة) في زماننا .

بحماية عقول أفراده أن تلوثها الشبهات أو الشهوات فتصرفها عن الحق والصراط المستقيم، لأنه يهدف إلى أن يسوق أفراده إلى جنة رب العالمين دون أن يدعهم نهباً للأفكار الباطلة والشهوات المحرمة التي تقودهم في النهاية إلى نار جهنم وبئس المصير إن هم اتبعوها.

فهل في هذا من حرج؟! أما ادعاؤكم بأن الإسلام لا يثق في أبنائه فيجب أن تعلموا عدة أمور توضح مقاصد الإسلام:

١ ـ أن الإنسان كما قال تعالى ـ وهو خالقه وأعلم بحاله ـ ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[١] فهو ضعيف في بنيته وفي عقله الذي تغلبه الشهوات في أحيانٍ كثيرة عندما يتعرض لها.

وهو ضعيف أيضاً أمام الشبهات والأفكار المضلة التي تتحلى بالزخارف والمحسنات.

لذا، فإن الأنفع لهذا الإنسان أن يجنب نفسه أن تكون متعرضة لهذه الشهوات أو الشبهات لينجو من آثارها.

وليس في هذا أي عيب، فها هم جميع الناس من العقلاء ـ وأنتم لاشك منهم ـ لا يُعرضون أنفسهم للأخطار التي تصيب

---

(١) سورة النساء ٢٨.

أبدانهم بسوء، أو تُعجل بحتفهم؛ كأن يُلقي نفسه أمام سيارة مسرعة أو يتجرع سماً أو مادة مُمْرضة أو يمشي دون نعل على طريق مليء بالشوك. . . إلخ.

فما بالكم تفعلون هذا كله حفاظاً على أبدانكم أن تُمس بسوء ولا تصنعون مثله أو قريباً منه لقلوبكم وأرواحكم التي هي شقيقة البدن في تعرضها للمرض وللتلف وللانحراف، بل هي أشد أثراً على الإنسان ومستقبله من البدن؛ لأن «القلب» ـ كما أخبر ﷺ ـ هو سيد الأعضاء «**إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله**»[1].

فما بالنا لا نأبه بسقمه وفساده ونعرضه للأخطار تحت دعوى الثقة وحرية الفكر؟!

فوالله لأن تلج الجنة وأنت سليم القلب مريض البدن، خير لك من أن تُلقى في النار سليم البدن فاسد القلب أو مريضه.

٢ ـ أن المسلمين تتفاوت علومهم ومداركهم؛ فمنهم العالم وطالب العلم والحصيف والعامي والإمعة. . إلخ، فمن الخطأ البين أن نقيسهم جميعاً بمقياس واحد ونعرضهم لموقف

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

واحد، فإذا كان يجوز للعالم البصير بالشرع أن يطلع على شبهات الآخرين ليجيب عليها لأجل ما هو عليه من علم يفرق به بين الحق والباطل والنور والظلام، فإن غيره ممن لم يبلغ مرتبته لا يستطيع ذلك ؛ وإن ادعى خلاف ذلك! ـ فهو ـ حتماً ـ سيزل ويتابع شبهات الآخرين المزخرفة أو بعضاً منها، حسب ما هو عليه من نقص في التقوى وفي العلم.

ومصداق هذا أن رسول الله ﷺ غضب على عمر ـ رضي الله عنه ـ عندما رأى في يده نسخةً من التوراة[1] رغم ما كان عليه عمر من التقوى والعلم، وبرغم أن التوراة تحتوي على ما يؤيده القرآن مما لم تطله يد التحريف، ومع هذا كله فقد غضب عليه رسول الله ﷺ وأمره أنْ ينتهي عن فعله وأن يجعل مصدر تلقيه شيئين، هما الكتاب والسنة خشية على قلبه من الفتنة والشبهات التي قد لا يدركها لخفائها ودقتها . . . فما ظنك بعد هذا بمن هم دون عمر ـ رضي الله عنه ـ بمسافات ممن يَدَّعون أنهم يستطيعون التفريق بين الهدى والضلال، فإذا هم يسقطون عند أدنى شبهة من شبه أَعداء الإِسلام! وهذا واضح لمن طالع مقالاتهم وكتبهم التي يجدها مرتعاً لكل شبهة مضلة، ويرى فيها أنواعاً من

---

(١) حديث حسن. انظر تخريجه في «ظلال الجنة» للألباني (ص٢٧).

التساهل، والتنازل عن أحكام الشرع البينة الواضحة، وكل هذا لأجل تأثر كاتبها بتلكم الشبهات المتتالية التي تعرَّض لها قلبه مدعياً أنها لن تؤثر فيه، ولو عرض هذا المدَّعي قلبه على الكتاب والسنة لوجده مليئاً بالأمراض الكثيرة المتراكمة على هذا القلب الضعيف حتى أهلكته أو كادت. . . ثم بعد هذا تدعون أنكم أقوياء في مواجهة الشبهات والغزو الفكري!

ومما يزيد المرء حسرةً أن يجد هذا الصنف من المدَّعين عندما يتعرض لشبهات الآخرين وغزوهم لا يتعرض لها بقصد الرد عليها أو تبيين تهافتها كما يفعل علماء الأمة.

بل يجعل قلبه عرضةً لها دون أي مقاومة أو رد، إن لم يكن قد ادّعى الاستفادة منها!!

فحال قلبه كحال الإسفنجة التي تمتص الشبهات المتتالية حتى تغرقها.

٣ ـ أن هذا المنهج الخاطئ في فتح باب الحرية الفكرية دون ضوابط يُعرض المجتمع الإسلامي لحالة ارتباك كبير، حيث سيتأثر بعض أفراده بتلكم الشبهات ثم يبدؤون في المنافحة عنها وسط مجتمعهم، فيبدأ بعدها مسلسل الانقسامات والتحزبات التي لا تخفى على عاقل أدركها في المجتمعات التي

سمحت بمثل هذا النوع من الحرية المضرة .

٤ ـ أننا لو أخذنا برأيكم في الحرية الفكرية لألغينا مبدأ الولاء والبراء الذي هو من أصول الإسلام، لأننا رأينا أن هذا المبدأ العظيم مفقود في كتابات من يطالب بهذه الحرية، حيث الإعجاب الكبير بأعداء الإسلام من فلاسفة ومفكرين ونحوهم، بل وجدناهم يكيلون لهم عبارات المديح والإعجاب ووضعهم في صف واحد مع أولياء الله وعلى رأسهم الأنبياء والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ.

٥ ـ أننا لو أخذنا برأيكم هذا في الحرية لألغينا (حكم الردة) من قاموس الشريعة الإسلامية، حيث سيفتح المجال لكل مرتد أن يبث ردته بين المسلمين دون حساب أو عقاب ـ والعياذ بالله ـ.

٦ ـ أننا لو تأملنا حق التأمل في هذه الدعوة بفتح باب الحرية الفكرية لوجدنا أن أصحابها ممن لم يعظم الإسلام أو يقدره حق قدره، بل هو من المتشككين المرتابين في أحكامه الذين لم يرضوها أو يؤمنوا بأنها مغنية عن غيرها من أفكار حثالات البشر .

ثالثاً: الدعوة إلى الديمقراطية

الفكرة الثالثة التي رددها خالد محمد خالد في مؤلفاته ومقالاته هي الدعوة إلى (الديمقراطية).

فهو عندما تراجع عن رأيه السابق في فصل الدين عن الدولة وتبني (العلمانية) في كتابه «من هنا نبدأ» عاد إلى نقض هذا الرأي في كتابه الآخر «الدولة في الإسلام» مؤكداً على أن الإسلام دين ودولة.

وليته اكتفى بهذا! إذاً لقلنا: زلة وقع فيها ـ لأسباب مختلفة ـ ثم تاب منها وعاد إلى الإسلام.

ولكن خالداً أساء لنفسه عندما جنح إلى تبني الدعوة إلى (الديمقراطية) بقوة، مدعياً أنها لا تعارض الإسلام!! إنما هي الشورى الإسلامية! وذلك في كتابه الذي خصصه لهذا الموضوع بعنوان: «الديمقراطية.. أبداً» وعدة مقالات أخرى[(١)].

---

(١) كمقاله: «قضيتي هي الديمقراطية» في جريدة الوفد (عدد ٧٦) بتاريخ ٢٢/٨/١٩٨٥م.

يقول خالد: «إن ما كان يُسمى منذ أربعة عشر قرناً بالشورى، هو الذي يُسمى اليوم بالديمقراطية»[١].

قلت: لقد أكثر علماء الإسلام في هذا الزمان من تبيين حكم الإسلام في مذهب (الديمقراطية) الذي فتن عقول كثير من المسلمين بوهجه (الشكلي) الذي تهون عنده كل مصائب (الديكتاتورية) و(الجبروت) و(الطغيان) التي ابتليت بها ديار الإسلام في هذا العصر، لهذا فقد وجد (البعض) في الديمقراطية ملاذاً آمناً وظلاً وارفاً إذا ما قورنت بما سبق، ثم اندفع بحماسه إلى الترويج له، وليت هذا (البعض) اكتفى بهذا، ولكنه تهور وادّعى أن هذه الديمقراطية هي الشورى التي عرفها المسلمون قديماً؛ لا سيما في عصر النبوة والخلافة الراشدة، وذلك ليتقبل المسلمون هذا المذهب المحدث دون معارضة أو استنكار. ولكن شتان ما بين الإسلام والكفر، فالديمقراطية وإن احتوت على جزئيات وافقت الإسلام، كحق الأمة في العيش الكريم بحرية مضبوطة بضوابط الشرع، بعيداً عن الطغيان والتسلط والقهر، وكحقها في سماع صوتها من قِبَل الحاكم المسلم. فالديمقراطية وإن وافقت الإسلام في شيء من

---

(١) ثورة التراث (ص٢٠٩) نقلاً عن «دفاع عن الديمقراطية» لخالد.

جزئياتها وتطبيقاتها فإنها ستظل بعيدة كل البعد عن الإسلام؛ لأنها تعارضه في أصلها العظيم الذي أنشئت من أجله، وهو أن تكون الأمة هي مصدر السلطات، فما رأته الأمة حقاً ونافعاً فهو حق ونافع وإن خالف شرع الله، وما رأته باطلاً فهو باطل وإن وافق الشرع، بل تبعاً لأهواء المشرعين والقائمين على الحكم وشؤونه، والأمثلة لبيان هذا كثيرة.

أما الإسلام فمصدر السلطات فيه هو قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ فما أحلّاه فهو الحلال الطيب وإن عارضه البشر بعقولهم (الناقصة) وما حرماه فهو الحرام الضار وإن اشتهته النفوس.

فإن ادّعى مدعٍ ـ كخالد وغيره ـ بأن الديمقراطية التي يدعو إليها هي أن تكون الأمة ـ كما يقول ـ «مصدر السلطات، بما في ذلك السلطة التشريعية، في ما لا يناهض نصاً قطعي الدلالة»[(١)].

نقول له: هيهات أن يكون ذلك! لأنك بهذا الصنع (المتكلف) تكون قد تناقضت وخالفت الديمقراطية التي تدعو

(١) ثورة التراث (ص٣٣١).

إليها ؛ لأن الديمقراطية ـ من خلال نشأتها عند الغرب ـ لا تقوم إلا على أساس أن الأمة هي مصدر السلطات جميعاً، فإذا خالفت هذا الأساس الأول الذي أنشئت الديمقراطية من أجله كنت قد ناقضت نفسك ودعوت إلى مذهب آخر غير الديمقراطية . أما مجرد أخذ شكليات الديمقراطية من (إنشاء البرلمان)، و(إقرار الأحزاب المتعددة) فهذا لا يجعلك ديمقراطياً! فلماذا لا تُريح نفسك وتدعو مباشرةً إلى دين الله أنْ يُحَكَّم في بلاد المسلمين مع إحياء مبدأ الشورى وتطبيقه دون أن تلجأ إلى هذا الخلط بين الإسلام والكفر من خلال جنين مشوّه يُدعى (الديمقراطية) لا يمت لأي من الفريقين بصلة؟!

وكما قلت سابقاً فقد أطال علماء الإسلام في بيان مفاسد الديمقراطية وكشفوا عن سوءاتها لتحذرها الأمة ولا تنخدع (ببهرجها) و(برلماناتها) و(أحزابها) التي فتنت البعض منا وفُرضت فرضاً من دول الكفر على كثيرٍ من بلادنا التي تفوقت في تطبيق (شكليات) الديمقراطية من إنشاءٍ لأحزابٍ متعددة[١] وإقامة مباني البرلمانات، وصرف الملايين على الانتخابات! والمطالبة بأن تشارك المرأة المسلمة في هذا كله . . . دون أن

---

(١) تدين جميعها للحكومات بالولاء، مع تغيير في مسمياتها فقط!!

تطبق هذه البلاد (مضمون) الديمقراطية الذي قد نتفق مع كثيرٍ منه؛ من إقامة العدل وحل المشاكل المتنوعة التي تعاني منها بلاد المسلمين.

وكل هذا يحدث تحت عين وسمع الغرب الذي يعجبه أن يتلهى جهلة المسلمين بشكليات هذه اللعبة المسماة بالديمقراطية.

ومن أراد المزيد في بيان تهافت هذا المبدأ الكافر ومعرفة شيء من مفاسده الكثيرة التي تخالف الإسلام فعليه بهذه الرسائل:

١ - خمسون مفسدة جلية من مفاسد الديمقراطية للشيخ عبدالمجيد الريمي.

٢ - الديمقراطية في العراء لخالد بن فوزي.

٣ - جلاء الظُلمة في التحذير من سيادة الشعب والأمة لأحمد الشريف.

٤ - حقيقة الديمقراطية لمحمد شاكر الشريف.

٥ - الديمقراطية والحرية لحافظ صالح.

٦ - الديمقراطية الغربية في ضوء الشريعة الإسلامية للدكتور محمود الخالدي.

٧ ـ الديمقراطية في الميزان لسعيد عبدالعظيم.

وأختم هذه القضية بفتوى للشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ حول هذا الموضوع؛ حيث سئل سماحته: «البعض من الدول الإسلامية يحكمون شعوبهم بما يسمونه الديمقراطية، ويفسرها بعضهم بأنها حكم الشعب بالشعب. فهل يجوز ذلك؟»

«الجواب: الواجب على جميع الدول الإسلامية تحكيم كتاب الله العظيم وهو القرآن وسنة رسوله الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، ولا يجوز لهم الحكم بغير ذلك من القوانين لا الديمقراطية ولا غيرها، لقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[1] يخاطب نبيه محمداً ﷺ بذلك، ولقوله عز وجل؛ ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2]، وقوله سبحانه ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

(١) المائدة: ٤٩.
(٢) المائدة: ٥٠.
(٣) النساء: ٦٥.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[٤]، وهذه الآيات الكريمات كلها تدل على أنه يجب على أمراء المسلمين وحكامهم أن يحكموا بين الناس بشرع الله وهو ما دلَّ عليه كتاب الله ـ القرآن الكريم ـ أو سنة رسوله ﷺ، ولا يجوز الحكم بينهم بغير ذلك من القوانين الوضعية وغيرها، لأن في حكم الله غاية العدل، وإنصاف المظلوم من الظالم وهو أعلم بأحوال عباده ومصالحهم، وقد خلقهم لعبادته وأمرهم بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، فلا يجوز لأحد من الناس الخروج عما شرعه الله ورسوله في كل شيء، لقول الله عز وجل: ﴿وَهَٰذَا

---

(١) المائدة: ٤٤.
(٢) المائدة: ٤٥.
(٣) المائدة: ٤٧.
(٤) النساء: ٥٩.

كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾[١] وللآيات السابقات، وأسأل الله أن يوفق حكام المسلمين وأمراءهم للحكم بشريعته والتحاكم إليها والحذر مما يخالفها إنه ولي ذلك والقادر عليه»[٢].

* * *

(١) الأنعام: ١٥٥.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٦١٩، ٢٧ رجب ١٤١٨هـ.

ملاحظـــات متفرقـــة

○ خالد محمد خالد والتصوف:

يعترف خالد محمد خالد بأنه قد مرَّ بتجربة صوفية لمدة سبع سنوات فيقول:

«تصوفنا فترة طويلة، حوالي سبع سنوات، عندما كنت في العشرين من عمري تصوفاً عميقاً.. هذا التصوف أكسبني بجوه ومناخه وبمعطياته أكثر فضائلي.. التصوف أكسبني الشجاعة في قول الحق.. أكسبني القناعة. فملء الأرض ذهباً لا يغريني.. كما أعطاني اتساع الأفق، وانطلاق الفكر»[1].

وقال خالد في مقدمة كتابه: «والموعد الله» الذي خصصه لأقوال أهل التصوف الذين خلط بينهم وبين أئمة السلف في هذا الكتاب!: «لقد أتيح لي في فترة مبكرة من حياتي ـ ليتها دامت ـ أن أصحب هذا الرعيل الطاهر في أخبارهم وآثارهم»[2].

ويقول خالد عن شيخه في التصوف: «كان للشيخ السبكي وجه في جلال وجمال، وبهاء يوصف، وكأن الشمس تشرق من خلاله، وعندما أحاول أتخيل وجه الرسول ﷺ فإنني أستحضر

(١) ثورة التراث (ص٤٥).
(٢) ص (١١).

معه وجه سيدنا الشيخ السبكي. فقد كان وجه نبوة وعلم»[١]!!

ويقول عن الصوفية: «فالإسلام يقوم على ثلاثة أركان، والصوفية هي الركن الثالث في الإسلام، وهي الإحسان والتوجه إلى الله»[٢]!

ويقول ـ منكراً ـ على السلفيين الذين يحاربون بدعة التصوف:

«إن هذه الدعوات السلفية عندما حاربت الصوفية، قد عرفت الحق بالرجال خطأً، ولم تعرف الرجال بالحق.

ـ فما هي القاعدة..؟

ـ هل أعرف الحق من خلال فلان أو علان؟ أم أعرف الرجال بالحق والحقيقة؟

ذلك أن الرجال لهم أخطاؤهم، إنما الحق شيء مطلق ونقي. ولأن الله هو الحق في النهاية.

فالسلفيون الذين يحاربون الصوفية حكموا على الصوفية وقرروا محاربتها، من خلال بعض التصرفات المتطرفة لفئة

(١) ثورة التراث (ص٤٦).
(٢) ثورة التراث (ص٤٩).

قليلة، لم تع حقيقة التصوف.

فهؤلاء السلفيون لم يدرسوا تاريخ التصوف الطويل، ولم يقرأوا[١] أفكار الغزالي، ومالك بن دينار، وأبي حازم، وابن عربي، وابن الفارض، وصفوان بن سليم، وميمون بن مهران، وزين العابدين علي بن الحسين، وغيرهم.

فالسلفيون الذين حاربوا وما زالوا يحاربون الصوفية، جاءوا من هذا المأزق، عندما عرفوا الحق بالرجال، ولم يعرفوا الرجال بالحق.

والصوفية التي تحارب من قبل بعض السلفيين، تُعتبر أعلى مراحل التدين»[٢]!!

قلت: قد ظهر تأثير غلاة أهل التصوف في فكر خالد محمد خالد حيث طبعوه بطابعهم في قضايا كثيرة، منها:

١ - قوله بوحدة الوجود - كما سيأتي -.

---

(١) بل قرؤوها وعرفوا ما في كثير منها من زندقة، ثم ردوا عليها في رسائل كثيرة، ولكنك جاهل لا تقرأ! أو تحاول التلبيس على القراء.

(٢) ثورة التراث (ص٥١ - ٥٢).

٢ ـ قوله بمذهب الإنسانية ـ كما سبق ـ حيث تتساوى جميع الأديان، ويتساوى جميع البشر دون فرق، وهذا هو مذهب غلاة الصوفة الذين يدينون بوحدة الأديان، الذين قال قائلهم ـ كما نقل خالد فيما سبق ـ:

لقد كنت قبل اليوم أُنكِر صاحبي
إذا لم يكن دِيني إلى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلان، وديرٌ لرهبان
وبيتٌ لأوثان وكعبةُ طائف
وألواحُ توراةٍ ومصحف قرآن
أدينُ بدين الحبّ أنَّى توجَّهتْ
ركائبه.. فالحب ديني وإيماني

٣ ـ التسامح مع الكفار.

○ الولاء والبراء عند خالد محمد خالد:

نظراً لأن خالداً قد آمن بمذهب (الإنسانية) ـ كما سبق ـ فهو حتماً لن يجد في قلبه أدنى تفرقةٍ بين مؤمن وكافر أو بَرٍّ وفاجر، فالجميع سواسية عنده، حيث سيبادلهم شعوراً واحداً دون نظر إلى أديانهم، وهذا ـ لاشك ـ مناقض لأصل الولاء

والبراء الذي عظَّمه الإسلام أيَّ تعظيم؛ لأنه دليل محبة الله ومحبة دينه والتبرؤ من جميع ما يخالفه، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[١].

وقال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾[٢] وقال: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[٣] إلى غيرها من الآيات[٤].

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) آل عمران: ٢٨.

(٣) المائدة: ٥١.

(٤) انظر للمزيد: كتاب «الولاء والبراء في الإسلام» للدكتور محمد القحطاني.

ونحن عند النظر في كتابات خالد ومؤلفاته سنجد هذا الأصل العظيم مفقوداً بالكلية، فلا ولاء ولا براء عنده، إنما هي العظمة الإنسانية، فمن كان عظيماً ونابغاً، فهو الولي المعظَّم.

وهذا لا شك أمر خطير وقع فيه خالد بسبب تبنيه للإنسانية إضافةً إلى تأثره بغلاة الصوفية كابن عربي وغيره ممن لا فرق عندهم بين الأديان، ولا بين حزب الله وحزب الشيطان ـ كما سبق ـ نعوذ بالله من الضلال ـ.

أما دلائل هذا من كتابات خالد فهي كثيرة؛ من أهمها إعلاؤه من شأن الفلاسفة والحكماء وغيرهم من مشاهير الشرق والغرب ـ مهما كانت ديانتهم ـ وتعظيمه لهم، وكيله المديح في حقهم، بل ومقارنتهم بالرسل ـ عليهم السلام ـ كما مر معنا.

ومن ذلك كتابه: «أفكار في القمة» الذي حشد فيه أسماء كثيرة، شرقية وغربية، محباً لها، ومعجباً بأفكارها وأعمالها: ككونفوشيوس وبوذا وفرويد وتولستوي ومكسيم جوركي وامرسون وديهاميل وغيرهم.

ومن ذلك ما قاله الدكتور شاكر النابلسي واصفاً أحد كتب خالد: «ويضرب خالد الأمثال على ذلك، من خلال دور كلمات فلاسفة الإغريق، وفلاسفة الإسلام، وعلى رأسهم الصوفية،

ومن خلال أستاذه الكبير (غاندي) الذي يكن له قدسية واحتراماً كبيرين»[١]!

ومن ذلك قوله في كتابه: «الدولة في الإسلام»: «إن كل من لم يقاتلنا في ديننا، ولم يخرجنا ـ نحن المسلمين ـ من أرضنا، ولم يظاهر غيره على إخراجنا، فله مودتنا الخالصة، وتعاوننا الوثيق»[٢]!

قلت: خالد يقول: «فله مودتنا الخالصة» والله عز وجل يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ . . .﴾[٣] الآية، فهل هناك محادة لله ولرسوله ﷺ أعظم من الكفر!؟

○ الحرب في الإسلام دفاعية عند خالد:

من خلال إيمان خالد بالمذهب الإنساني فإنه قد اضطره ذلك إلى تمييع كثير من مبادئ الإسلام الثابتة من أجل أن يوائم بينها وبين مذهبه الإنساني الباطل.

---

(١) ثورة التراث (ص٢٣٣).
(٢) الدولة في الإسلام (ص٧٦).
(٣) المجادلة: ٢٢.

ومن هذا أنه يؤمن بأن الحرب في الإسلام هي للدفاع فقط لا للهجوم على الأعداء، ونشر دين الله في أرجاء الأرض. يقول خالد: «أما القتال في الإسلام فقد كان ولا يزال موثقاً بضرورة الدفاع عن النفس»[١].

وهذا القول باطل؛ لأن الجهاد في الإسلام كما أنه للدفاع عن حوزة الدين وبلاد المسلمين أن يطأها أعداء الله، فكذلك هو هجومي لحمل رسالة الإسلام إلى جميع أنحاء العالم بعد إزاحة كل طاغوت يصدها عن ذلك. وقد أكثر العلماء المعاصرين من الرد على هذه الفكرة الباطلة التي تبناها خالد ومن معه من تيار العقلانيين في هذا الزمان، فانظر على سبيل المثال:

١ ـ محاضرة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ: «ليس الجهاد للدفاع فقط» ضمن «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣/ ١٧١ ـ ٢٠١).

٢ ـ «البيان لكثير من أخطاء الكتاب» للشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ (ص٣٢٠).

٣ ـ «الجهاد بين الطلب والدفاع» للشيخ صالح اللحيدان.

---

(١) الدين للشعب (ص٣١).

○ خالد محمد خالد يؤمن بوحدة الوجود!

علمنا فيما مضى أن خالداً قد لازم المتصوفة مدةً من عمره، فتأثر بكثير من أفكارهم وادعاءاتهم، ومن ذلك إيمانه بوحدة الوجود التي اشتُهر بها غلاة المتصوفة.

وهذه الفكرة تعني أن الوجود الذي لهذه الأشياء في العالم هو عين وجود الله ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ فهي مجرد مظهر من مظاهره.

وقد أطال العلماء في الرد على هذا المبدأ الملحد الذي أتى به زنادقة المتصوفة الذين يحتفي بهم خالد! من أمثال ابن عربي وابن الفارض والتلمساني وغيرهم، بل كفّروهم وحذروا من كتبهم[(١)].

قال علي القاري: «اعلم أن من اعتقد حقيقة عقيدة ابن عربي فكافر بالإجماع من غير النزاع»[(٢)].

---

(١) انظر على سبيل المثال: المجلد الأول من فتاوى شيخ الإسلام وكتاب «بغية المرتاد» لشيخ الإسلام ـ أيضاً ـ وكتاب: «الرد على القائلين بوحدة الوجود» لعلي القاري، و«عقيدة ابن عربي» لعلي حسن عبدالحميد.

(٢) الرد على القائلين بوحدة الوجود (ص١٥٤).

أما أقوال خالد في هذا فإليك شيئاً منها:

يقول خالد تعليقاً على حديث الجارية التي سألها رسول الله ﷺ: «**أين الله؟**» فقالت «**في السماء**» فقال ﷺ لسيدها: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[1] يقول خالد: «ليس لله مكان يحده، لا في السماء ولا في الأرض، وإنما يعني الرسول في كلا الحديثين وفي الأحاديث الأخرى المماثلة تنزيه الله عن مكان بذاته؛ لأنه وهو مبدع الوجود كله يتجلى في الوجود كله، وهو مع خلقه جميعاً أينما كانوا»[2]!!

قلت: الذي يظهر لي - والله أعلم - أن خالداً استقى هذه العقيدة (وحدة الوجود) من غلاة الصوفية القائلين بها، الذين أخبرنا بأنه لازمهم مدةً من الزمن.

وهذه العقيدة - كما سبق - باطلة؛ لأنها تعارض الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة التي تفيد بأن الله - عز وجل مستوٍ على عرشه فوق السماوات استواءً يليق بذاته، وأنه منفصل عن خلقه متمايز عنهم غير مختلط أو متصل بهم كما يقول أهل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥/ ٢٠ - ٢٤) نووي.
(٢) كما تحدث الرسول (ص٥٥).

الوحدة ـ والعياذ بالله ـ.

وليس هذا موضع ذكر الأدلة التفصيلية[١]، ويكفي عنها إخباره تعالى في عدة مواضع من القرآن بأنه مستوٍ على العرش، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[٢].

○ خالد محمد خالد ومدى معرفته بعلم الحديث:

من نظر في كتب خالد محمد خالد تبين له أن الرجل ذو بضاعة مزجاة في علم الحديث؛ حيث يستدل بالأحاديث الموضوعة والضعيفة التي تناسب الموضوع الذي يتحدث فيه، دون أي اعتبار لصحتها أو ضعفها.

وليته اقتنع بقلة علمه بالحديث فاعترف به، ولكننا نراه يدَّعي خلاف ذلك في مقدمة كتابه «كما تحدث الرسول» عندما قال: «ولقد اعتمدنا في كتابنا هذا على الأحاديث التي صحت نسبتها إلى رسول الله بوجه من وجوه الصحة، أو بكل تلك الوجوه»[٣].

---

(١) انظرها في كتاب «العلو» للذهبي، وكتاب «علو الله على خلقه» للدكتور موسى الدويش.

(٢) طه: ٥.

(٣) ص (١١).

ولكن برغم هذا الادِّعاء نجد أنه قد استدل بأحاديث كثيرة لا أصل لها أو هي من قبيل الموضوعات.

كهذه الأحاديث:

- «من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله»[١].

- و«لا تُظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك»[٢].

- «لا حليم إلا ذو عثرة ولا حكيم إلا ذو تجربة»[٣].

○ الأخلاق الدينية والمدنية عند خالد:

يُقسم خالد الأخلاق قسمين: دينية ومدنية[٤]، ثم تعجب إذا علمتَ أنه يختار لنا أن نأخذ بالأخلاق المدنية لأنها الأنسب

---

(١) (ص١٠٤) والحديث موضوع، انظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص٢٢٩).

(٢) (ص١٠٥) والحديث موضوع، انظر: «ضعيف الجامع» للألباني (٦٢٤٥).

(٣) (ص١١٢) والحديث موضوع، انظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص٢٦٠).

(٤) ولا أدري من أين استقى هذا التقسيم الباطل، لأن الأخلاق واحدة لا تتغير، فهي إما نافعة أو مضرة، وإن شئت قلت: إما مُرَغب فيها أو مُحَذر منها.

لزماننا، ونذر الأخلاق الدينية! وهي خطة (ماكرة) من خالد للتخلص من كثير من أحكام الإسلام[١]. ولنأخذ مثلاً على هذا من كلامه.

يقول خالد: «إن الأخلاق الدينية ترى طريق الفضيلة أن تنفصل المرأة عن الرجل، فلا ترى المرأة رجلاً، ولا يراها رجل.

ربما كانت هذه الأخلاق هي الأخلاق السائدة واللازمة لعصور سالفة، أما اليوم فإن الأخلاق هي أخلاق الاختلاط.. الاختلاط الهادف إلى إنشاء زمالة مؤنسة فاضلة بين الجنسين، المرأة والرجل.

إذن، فموقفنا من الأخلاق الدينية التي تركز على نص ديني صحيح، هو تفسير النص وتكييف وجهته، بحيث يتواءم

---

(١) تذكرني هذه الخطة (الماكرة) بخطة أخرى لأعداء الشريعة عندما يريدون التخلص من بعض أحكامها، وذلك بتقسيمهم سنة النبي ﷺ إلى «تشريعية» يلزمنا العمل بها و«غير تشريعية» أي لا يلزمنا العمل بها!.
ومثلها قول بعضهم «الفتيا تتغير بتغير الأحكام» ثم يُدرج تحتها ما يريد من أحكام شرعية تضاد هوى نفسه. نعوذ بالله من (الكفر) ببعض ما جاء به محمد ﷺ.

مع ضروراتنا التي يكشف العلم والتطور عن حقيقتها»[١] ! !

قلت: في هذا الكلام شيء كثير من الخبط والخلط والضلال المبين، إضافةً إلى التهافت، وإلا فكيف تكون الأخلاق أخلاقاً دينية ثم تكون «ليست من عند الله» كما يزعم خالد ! ؟

وهل الدين إلا من عند الله ! ؟

ونحن لو أخذنا بهذا القول (الخطير) لما أبقينا على شيء من أخلاق الإسلام التي قد لا توافق هوى نفوسنا متسترين بهذه البدعة (أخلاق دينية وأخلاق مدنية) وهي في حقيقتها اتباع ما تهوى الأنفس، وكل مسلم يعلم أن الخير والفلاح هو في ما جاء به الإسلام من تشريعات وأخلاق، ومن زعم غير هذا فهو يهوي في مكان سحيق.

○ خالد محمد خالد وحزب الوفد:

يعد خالد محمد خالد من الرجال الذين لم يخوضوا غمار السياسة، أو ينخرطوا في أحزابها وجماعاتها، حيث آثر البعد عن هذا كله، مكتفياً بمؤلفاته ومقالاته التي تمس هذا الجانب

---

(١) لكي لا تحرثوا في البحر (ص١٨٥).

من مكان بعيد.

إلا أننا ـ برغم هذا ـ نجده عندما تواتيه الفرصة للتصريح عما في نفسه تجاه الأحزاب السياسية في عصره يميل ميلاً شديداً إلى حزب (الوفد)[١] مما جعل كثيراً من ذوي الشأن يستغربون صنيعه هذا؛ نظراً لأنه في عُرف الناس يعد من جملة «الكتَّاب الإسلاميين»!

وحُقَّ لهؤلاء أن يعجبوا؛ لأن حزب الوفد الذي تعاطف معه خالد حزبٌ علماني النشأة والاتجاه، أسسه سعد زغلول مع رفاقه الذين كانوا يطالبون باستقلال مصر، واختاروا له المبادئ العلمانية التي تعزل الإسلام عن السياسة، فلا فرق عندهم بين مسلم وكافر[٢] كما أن مؤسسة هو من كبار دعاة (تحرير المرأة) في مصر ـ عامله الله بما يستحق ـ[٣].

(١) ثورة التراث (ص٢٩٨).

(٢) ولعل هذا ما دعا خالداً إلى الإعجاب به! لموافقته لما في نفسه ـ كما سبق ـ.

(٣) انظر زيادة في هذا: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» من اصدارات الندوة العالمية للشباب الإسلامي (١/ ٤٥٤).

○ لا حرام في الثقافة عند خالد!

يقول خالد: «فالثقافة كالطب، لا تعرف الحلال والحرام..

كما أن جميع أعضاء الإنسان في عين الطب سواء. ليس فيها ما هو عورة.. وما هو غير عورة.. فكذلك موضوعات المعرفة كلها بالنسبة للمعرفة، ليسَ فيها ما هو حلال، وما هو حرام.

فالحظر ـ أياً كان لونه ـ لا سلطان له على الفكر، ولا ينبغي أن يكون له سلطان على الثقافة الموضوعية الأصيلة»[1].

قلت: تشبيه خالد للمعرفة بالطب، وأنه كما أن الطب ليس فيه عورات فكذلك المعرفة ليس فيها ما هو حرام وما هو حلال تشبيه ليس في محله، لأن عورة الإنسان لا تتغير سواء في الطب أم في غيره، إلا أننا في مجال الطب نغلب جانب مصلحة علاج المريض بكشف عورته، على جانب مفسدة كشف العورة.

أما في مجال المعرفة فهناك من العلوم والمعارف ما هو

---

(١) إنه الإنسان (ص١١٥).

ضارٌ بالإنسان ولا حاجة له به، وقد جاءت نصوص الشريعة بالنهي عنه، كعلم السحر والشعوذة والتنجيم ونحوها من العلوم الضارة.

فكان من الأنسب تشبيه المعرفة بالأطعمة؛ منها ما هو نافع ومنها ما هو ضار، لا كما يزعم خالد.

وهو بزعمه هذا يظن أن فتح باب المعرفة على إطلاقه هو من أسباب ارتقاء الأمة، وهو واهم في هذا، لأن سُبل الارتقاء معلومة، وهي لا تكون بتحصيل ما حرمه الله، وهو سبحانه لا يحرم إلا ما فيه مضرة على الإنسان، وإن توهم البعض خلاف ذلك.

○ خالد محمد خالد والاشتراكية:

علمنا فيما مضى عند الحديث عن كتاب خالد «من هنا نبدأ» أنه تبنى الفكر الاشتراكي، ثم لم يثبت عنه تراجع عن هذا الفكر الذي ظل ملازماً لكتاباته ـ لاسيما في الاقتصاد ـ خلال مراحل حياته. ولا يزال المطلعون يذكرون مقاله الشهير الذي كتبه غداة موت ستالين بعنوان «طبت حياً وميتاً يا رفيق»[١]!!

---

(١) ثورة التراث (ص٣٨٨).

ولأجل هذا التوجه المبكر من خالد حاول «حزب البعث العربي الاشتراكي» أن يضم خالداً إلى صفوف حزبه، بل توليته رئاسة الحزب في مصر، نظراً للتوافق الفكري بين الطرفين.

يقول خالد: «في عام ١٩٥٠ زارني أحد قياديي الحزب ـ الدكتور منيف الرزاز ـ في القاهرة، وحضر إلى بيتي، وحدثني عن تاريخ حزب البعث، وعن منطلقاته وأهدافه، وكيف أن حزب البعث يرى أن عليه الدور التاريخي، لتحقيق الوحدة في الوطن العربي، وأنه لا ينظر لنفسه على أنه حزب من الأحزاب الأخرى في العالم العربي، أو أنه حزب قطري أو محلي. وإنما هو حزب قومي، يسعى لتحقيق أهدافه على المستوى القومي ككل. وشرح لي «الرزاز» كيف يفهم حزب البعث الحرية، والاشتراكية، والوحدة. وقال: إن حزب البعث يفهمها على أنها خط فكري واحد، لا يتجزأ؛ بمعنى أنها ليست مبادئ ثلاثة متميزة منفصلة، وإنما بمجموعها تشكل منطلقاً وأساساً فكرياً. ثم شرح لي موقف حزب البعث من الديمقراطية، وكيف أن هذا الحزب يدافع عن فكرة تعدد الأحزاب، وحرية ممارسة العمل السياسي، بصوره المختلفة.

بعد ذلك قال لي «الرزاز» موضحاً: إن الحل الديمقراطي

الذي يسعى إليه حزب البعث، لن يكون مجرد صيغة سياسية تستهدف إحاطة النظام الاشتراكي بإطار من المؤسسات الديمقراطية السياسية، ومنح الأفراد حريات وحقوقاً سياسية، بقدر ما تستهدف أيضاً الوصول إلى تطبيق صيغة ديمقراطية في الاقتصاد، وفي المصانع، والتعاونيات الزراعية، ومجالات الإنتاج كلها.

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الفكر المصري، وأخبرني أن كتابي «من هنا نبدأ» يُدرّس رسمياً في حلقات وخلايا الدرس الحزبية البعثية، ويُعتمد كنص سياسي واجتماعي لأعضاء الحزب، ثم أصبح مقرراً على كل عضو من أعضاء الحزب كمادة منهجية. ثم تناقشنا في أمور سياسية وتاريخية كثيرة.

وفي نهاية الزيارة أخبرني «الرزاز» بأنهم ينوون إقامة فرع مصري لحزب البعث، وقد دعاني «الرزاز» باسم قيادة الحزب إلى تولي رئاسة حزب البعث في مصر، فشكرته على ثقته، واعتذرت له عن عدم تمكني قبول ذلك لانشغالي في مسائل أخرى، ولعدم وجود وقتٍ كافٍ لديَّ للقيام بالمهام الحزبية، ولخطتي الرامية إلى التفرغ للكتابة والقراءة، كمفكرٍ ملتزم بقضايا الأمة، غير ملزم باتجاه سياسي، أو حزبي معين، بالرغم

من حبي للأحزاب، ودفاعي عن وجودها، كأساس من أسس الممارسة السياسية الديمقراطية»[١].

قلت: ولكن؛ ليس معنى هذا أن خالداً متفق مع الاشتراكيين تمام الاتفاق، بل كانت له عدة تحفظات على (الاشتراكية) في قضايا عديدة[٢].

الخلاصة كما يقول الدكتور شاكر النابلسي: «فخالد يصف فلسفة ماركس، بأنها فلسفة عاتية هزت أركان الأرض، وحررت ملايين العبيد، والمضطهدين، والمسحوقين. وهو لذلك إلى جانبها في جهودها المستمرة، في تحطيم الأغلال، والتخلص من العبودية[٣].

- ويتفق خالد مع الماركسية، عندما أدَّت دوراً هاماً في تقنين العدل الاجتماعي؛ أي وضعه ضمن أُطر وقوانين وأنظمة، وعدم تركه للأريحية، كما هو الحال في بلاد الشرق الآن، وبشكل عام.

فالماركسية، قننت العدل الاجتماعي، تحت اسم الاشتراكية»[٤].

---

(١) ثورة التراث (ص٤٧٩ ـ ٤٨٠).
(٢) انظرها في «ثورة التراث» (ص٤٨١ ـ ٤٨٦).
(٣) هم تخلصوا من عبودية الله، فهل تفعلها مثلهم؟!!
(٤) ثورة التراث (ص٤٨٩).

أخطاء
خالد محمد خالد
في كتابه
«رجال حول الرسول» ﷺ

يُعد كتاب «رجال حول الرسول»[1] لخالد محمد خالد أشهر كتبه، فهو المؤلَّف الذي وضعه عند كثير من الناس في صف المؤلفين الإسلاميين.

فهو شبيه بعبقريات العقاد التي أعلت من أسهمه عند أهل الإسلام.

وقد تميز هذا الكتاب ـ أي «رجال حول الرسول» ـ بعدة مميزات زادت من انتشاره ومن تعلق الناس به، منها:

١ ـ أنه قد كُتب بأسلوب أدبي راقٍ استطاع من خلاله خالد أن ينقل قصص هؤلاء الصحابة إلى قارئه بعرضٍ ممتع لا يُمَل، وبلغة فنية ماهرة في انتقاء الألفاظ واستثارة العواطف وتحريكها وكأن القارئ يعيش متنقلاً بين هؤلاء الرجال العظماء.

٢ ـ أنه برغم رقيّ لغته وخصوصية تراكيبه إلا أنه واضح العبارة مشرق الأسلوب، لا يستغلق فهمه على القارئ مهما

---

(١) وهو يحتوي على ترجمات وسير موجزة لستين صحابياً، ليس منهم الخلفاء الراشدون، لأنه قد أفرد الحديث عنهم في كتاب مستقل بعنوان (خلفاء الرسول) ﷺ.

كانت ثقافته.

٣ ـ أنه كتاب مختصر يعرض لك أهم أحداث حياة ستين صحابياً في مجلد واحد، حيث ينتقي منها أبرزها.

٤ ـ أنه قد سدَّ ثغرة في هذا الباب ـ أعني قصص الصحابة وسيرهم ـ حيث كانت المكتبة الإسلامية حين تأليف هذا الكتاب تفتقر إلى مثله من حيث جمعه بين القصة والكتابة المعاصرة التي تناسب أهل هذا الزمان.

لهذه الأسباب والمميزات استطاع هذا الكتاب أن يحتل مكاناً رفيعاً عند المسلمين، فلا تكاد تخلو مكتبة منه.

○ لماذا ألف خالد هذا الكتاب؟

لا أريد أن أخوض في نيات البشر، ومنهم خالد، ولكني سأعرض مقولةً لأحد الكتاب، تبين أن خالداً إنما ألف كتابه هذا وغيره من كتبه الإسلامية الأخرى من أجل إبراز الجوانب (الإنسانية) في هذه الشخصيات، وهو المذهب الذي يدعو إليه خالد، كما عرفنا سابقاً.

بمعنى: أن خالداً عندما آمن بالمذهب (الإنساني) أصبح لا ينظر إلا إليه عند عرضه لأي من الشخصيات التي يُعجب بها، سواء كانت شخصية إسلامية أم غير إسلامية.

فهو ينظر إلى جانب (العظمة) في تلكم الشخصيات التي يتناولها، بغض النظر عن دينها.

فمثلاً: عندما تقرأ لخالد حديثاً عن أحد الصحابة تجده مستغرقاً في تبيان ما تحمله هذه الشخصية من جوانب (عظيمة) بأسلوب أدبي ماتع.

ثم أيضاً: عندما تقرأ له حَديثاً عن شخصية أخرى غير إسلامية هو معجب بها ـ كبوذا أو غاندي أو سقراط أو غيرهم ـ تجد الأمر لم يتغير، فهو يبرز جوانب (العظمة) الإنسانية فيها بأسلوب أدبي!

إذاً: فالمحرك لخالد في كلا الحالتين هو البحث عن جوانب (العظمة الإنسانية) في شخصياته.

هذا ما ظهر لي من خلال تأمل لمؤلفات خالد، وهو ما أيده الدكتور شاكر النابلسي، وهو الخبير بكتب ومقاصد خالد، وذلك في قوله: «من خلال كتابات خالد الإسلامية عن خلفاء الرسول، وعن إنسانيات المسيح، وعن أولياء الله من الصوفية، لم يكن خالد يعيد كتابة التاريخ، وسير الأنبياء، والتابعين، والأولياء، لمجرد التكرار واجترار التراث، ولكنه كان يريد من وراء هذه الكتابات، **إضاءة الجوانب الإنسانية** في هذه

الشخصيات والمتمثلة في الحكمة، والعدالة، والزهد»[١].

قال: «فكانت كتابات خالد الإسلامية دعوة صريحة من خلال دروس الدين العظيمة، للتذكير بإنسانية الإنسان وأخلاقه وواجباته ومسؤولياته، مواطناً كان أم حاكماً»[٢].

○ **الملاحظات الشرعية على كتاب «رجال حول الرسول»:**

بغض النظر عن هدف خالد من تأليفه لكتابه هذا فإني سأنظر إليه نظرة متجردة تتفحص محتوياته في ضوء النصوص الشرعية مع تبيين ما فيه من ملاحظات، وذلك بالتوالي، **فأقـــــول مستعيناً بالله:**

○ **الملاحظة الأولى:**

قوله عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ بأنه «زعيم المعارضة وعدو الثورات»[٣]! وتصويره رضي الله عنه في صورة الناقم على حكم عثمان ـ رضي الله عنه ـ الذي لم يتورع خالد محمد خالد عن لمزه والتعريض به، كقوله عن خلافته «إن السلطة هي

---

(١) ثورة التراث (ص٣٥٦).

(٢) المصدر السابق (ص٣٥٧).

(٣) (ص ٧٥) الطبعة الخامسة (١٤٠٧هـ).

مسئولية ترتعد من هول حساب الله عليها أفئدة الأبرار، تتحول إلى سبيل للسيطرة، وللثراء، وللترف المدمر الوبيل»[١]!

فقد تابع خالد محمد خالد في موقفه هذا غلاة الشيوعيين العرب الذين افتروا على أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أنه متابعٌ لمذهبهم الباطل في مجال الاقتصاد وتوزيع الثروات، بخلاف عثمان ـ رضي الله عنه ـ الذي صوروه في صورة الحاكم «الرأسمالي» المتسلط.

ثم تفننوا في إيهام جهلة المسلمين بأن أبا ذرٍ ومن معه يمثلون «المعارضة الاشتراكية الشيوعية» لحكومة عثمان «الرأسمالية» مسقطين مفاهيمهم المحدَثة في هذا العصر على صحابة محمد ﷺ، و«مضخمين» لموقف أبي ذر من عثمان ـ رضي الله عنهما ـ.

وأنه ـ أي أبا ذر ـ «لو أعطى إشارة عابرة بالثورة لاشتعلت ناراً»[٢]!! كما يقول خالد محمد خالد. حتى وصل الحال بأحدهم[٣] أن ألف كتاباً سمَّاه «الاشتراكي الزاهد أبو ذر

---

(١) (ص ٨٦).
(٢) (ص٨٩).
(٣) هو عبدالحميد جودة السحار.

الغفاري»! وآخر[١] ألف كتاباً سماه «اشتراكية أبي ذر»! وثالث[٢] ألف كتاباً سماه «أبو ذر أول ثائر في الإسلام»! ورابع[٣] ألف كتاباً سماه «أبو ذر ثائر العدالة الإسلامية»! وخامس[٤] ألف كتاباً سماه «أبو ذر الغفاري الاشتراكي المطارد»!

وقد أخطأ خالد محمد خالد بصنيعه هذا؛ لأنه تحدث عن خير الأمة بعد نبيها ﷺ بمصطلحات ومفاهيم استقاها من الشيوعيين المعاصرين لم تخطر ببال أيٍ من صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا في أقوالهم ومواقفهم يتحرون الالتزام والتقيد بما جاء في الكتاب والسنة. فهم ـ رضي الله عنهم ـ وإن اختلفوا في بعض المسائل فيما بينهم فإنما هدف كلٍ منهم في اجتهاده الذي خالف فيه صاحبه طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ لا اتباع هواه أو شهوته.

أما حقيقة موقف أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ الذي حاول الشيوعيون ومن تابعهم كخالد محمد خالد تضخيمه،

---

(١) هو محمود شلبي.

(٢) هو قدري قلعجي.

(٣) هو مشتاق موسى محسن.

(٤) هو محمد علي الصوري.

واستغلاله، والادعاء بأنه الموقف الصواب، وما خالفه ـ كموقف عثمان ـ رضي الله عنه ـ وجمهور الصحابة ـ هو الباطل.

حقيقة هذا الموقف كما يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«أن أبا ذر رضي الله عنه كان رجلاً صالحاً زاهداً، وكان من مذهبه أن الزهد واجب، وأن ما أمسكه الإنسان فاضلاً عن حاجته فهو كنز يُكوى به في النار، واحتج على ذلك بما لا حجة فيه من الكتاب والسنة. احتج بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾[1]، وجعل الكنز ما يفضل عن الحاجة، واحتج بما سمعه من النبي ﷺ وهو أنه قال: «**يا أبا ذر ما أحب أن لي مثل أُحُد ذهباً يمضي عليه ثالثة وعندي منه دينار، إلا ديناراً أرصده لدين**». وأنه قال: «**الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال بالمال هكذا وهكذا**»[2].

ولما توفي عبدالرحمن بن عوف وخلف مالاً، جعل أبو ذر ذلك من الكنز الذي يُعاقب عليه، وعثمان يناظره في ذلك، حتى

---

(١) التوبة: ٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣/١١٦، ومسلم ٢/٦٨٧ ـ ٦٨٨.

دخل كعب ووافق عثمان، فضربه أبو ذر، وكان قد وقع بينه وبين معاوية بالشام بهذا السبب.

وقد وافق أبا ذر على هذا طائفة من النسّاك، كما يذكر عن عبدالواحد بن زيد ونحوه. ومن الناس من يجعل الشبلي من أرباب هذا القول. وأما الخلفاء الراشدون وجماهير الصحابة والتابعين فعلى خلاف هذا القول.

فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود صدقة، وليس فيما دون خمس أواق صدقة»(١). فنفى الوجوب فيما دون المائتين، ولم يشترط كون صاحبها محتاجاً إليها أم لا.

وقال جمهور الصحابة: الكنز هو المال الذي لم تؤد حقوقه، وقد قسّم الله تعالى المواريث في القرآن، ولا يكون الميراث إلا لمن خلف مالاً. وقد كان غير واحد من الصحابة له مال على عهد النبي ﷺ، من الأنصار، بل ومن المهاجرين. وكان غير واحد من الأنبياء له مال.

---

(١) الحديث ـ مع اختلاف في الألفاظ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في: البخاري ٢/ ١٠٧، ومسلم ٢/ ٦٧٣ ـ ٦٧٥.

وكان أبو ذر يريد أن يوجب على الناس ما لم يوجب الله عليهم، ويذمهم على مالم يذمهم الله عليه، مع أنه مجتهد في ذلك، مثاب على طاعته رضي الله عنه، كسائر المجتهدين من أمثاله.

وقول النبي ﷺ ليس فيه إيجاب، إنما قال: «**ما أحب أن يمضي عليَّ ثالثة وعندي منه شيء**» فهذا يدل على استحباب إخراج ذلك قبل الثالثة لا على وجوبه. وكذا قوله «**المكثرون هم المقلّون**» دليل على أن من كثر ماله قلّت حسناته يوم القيامة إذا لم يكثر الإخراج منه، وذلك لا يوجب أن يكون الرجل القليل الحسنات من أهل النار، إذا لم يأت كبيرة ولم يترك فريضة من فرائض الله.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقوّم رعيته تقويماً تاماً، فلا يعتدي لا الأغنياء ولا الفقراء. فلما كان في خلافة عثمان توسَّع الأغنياء في الدنيا، حتى زاد كثير منهم على قدر المباح في المقدار والنوع، وتوسع أبوذر في الإنكار حتى نهاهم عن المباحات»[١].

---

(١) منهاج السنة (٦/ ٢٧٢ ـ ٢٧٥).

○ الملاحظة الثانية:

أنه لمز الصحابي الجليل ذا النورين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بقوله في ترجمة أبي ذر: «إن السلطة التي هي مسؤلية ترتعد من هول حساب الله عليها أفئدة الأبرار، تتحول إلى سبيل للسيطرة وللثراء، وللترف المدمر الوبيل»[١].

وفي هذا ما فيه من اللمز والافتراء على عثمان ـ رضي الله عنه ـ الذي صوره هذا الاشتراكي في صورة الثري المتسلط المترف! نعوذ بالله من الضلال. وقد فنَّد علماء أهل السنة ـ رحمهم الله ـ جميع ما وجهه أهل الباطل من افتراءات لهذا الصحابي الجليل[٢] ـ ولله الحمد ـ ويُلخص هذا كله مقولة عثمان ـ رضي الله عنه ـ التي نقلها خالد محمد خالد في كتابه الآخر «خلفاء الرسول»! «أما والله لقد عِبتم عليَّ بما أقررتم لابن الخطاب... ولكنه وطِئكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم.. أما أنا فلنتُ لكم، وأوطأت لكم كنفي، وكففتُ يدي ولساني عنكم، فاجترأتم

---

(١) (ص٨٦).

(٢) انظر: منهاج السنة لشيخ الإسلام (٦/ ١٨١ وما بعدها) والعواصم من القواصم لابن العربي (ص٧٦ـ١٤٦) تعليق محب الدين الخطيب.

عليّ»[١].

○ الملاحظة الثالثة:

أنه لم يتورع - كعادة الكتاب العقلانيين المعاصرين المتشبهين بالروافض - عن الطعن في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - في عدة مواضع من كتابه، إضافةً إلى طعنه له في كتابيه «خلفاء الرسول» و«أبناء الرسول في كربلاء».

ومن ذلك قوله: «وقام معاوية يُنازع الخليفة الجديد علياً كرم الله وجهه[٢] حقه في الأمر، وفي الخلافة»[٣].

قلت: وهذا كذب على معاوية، فمعاوية - رضي الله عنه - إنما نازع علياً - في مسألة تسليم قتلة عثمان - كما هو معلوم - ولم يخطر بباله أمر الخلافة إلا بعد استشهاد علي - رضي الله

---

(١) خلفاء الرسول (ص٣٠٥).

(٢) الأولى أن يقال «رضي الله عنه» كغيره من الصحابة، أما «كرم الله وجهه» فهو من ألفاظ الروافض التي تسربت إلى أهل السنة. انظر: معجم المناهي للشيخ بكر أبو زيد (ص٤٥٤).

(٣) ص٢٧.

عنه ـ.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «ومعاوية لم يدَّع الخلافة، ولم يُبَايع له بها حين قاتل عليًّا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله»[١].

ومن ذلك قوله في ترجمة عبادة بن الصامت: «ثم يرتد بصره إلى حيث يقيم في فلسطين.. فيرى معاوية بن أبي سفيان.. رجل يحب الدنيا ويعشق السلطان»[٢]!

قلت: قبَّح الله الكذب وأهله، فما أَدْرى خالداً عن ما في قلب معاوية ـ رضي الله عنه ـ حتى يفتري عليه هذا الافتراء!؟ وما دليله على هذا كله!؟

وما كان المسلمون ليعبأون بقول اشتراكي رقيع؛ كخالد وأمثاله، يتطاول به على أعراض صحابة رسول الله ﷺ ممَّن نصر الله بهم دينه وجمع على أيديهم كلمة المسلمين؛ كمعاوية ـ رضي الله عنه ـ.

---

(١) الفتاوى (٣٥/ ٧٢).
(٢) (ص٢٨٥).

ومن ذلك قوله في ترجمة عبدالرحمن بن أبي بكر متحدثاً عن بيعة معاوية لابنه يزيد: «تريدون أن تجعلوها هرقلية»[١].

قلت: قد تحدّث العلماء عن هذا الحدث ـ أي البيعة ليزيد ـ محسنين الظن بمعاوية ـ رضي الله عنه ـ الذي ما كان أمامه ـ حسب رأي هؤلاء ـ إلا أن يفعل هذا الذي فعل؛ من تنصيب يزيد خليفةً للمسلمين، لأنه الرجل المؤهل لتولي الخلافة في تلك الظروف، نظراً لمتابعة أهل الشوكة له ـ وهم أهل الشام ـ، وانقيادهم لحكمه، دون غيره ممن هم أفضل منه؛ كابن عمر وابن الزبير وغيرهما ـ رضي الله عنهما ـ[٢].

ومن ذلك قوله في ترجمة قيس بن سعد بن عبادة[٣]: «وهكذا راح ـ أي معاوية رضي الله عنه ـ بكل وسائله الماكرة، وحيله التي لا تُحجم عن أمر، يدس عند علي ضد قيس...»! ولاحظ قوله «وحيله التي لا تُحجم عن أمر» أي أن معاوية لا

---

(١) (ص٦٦٥).

(٢) انظر للزيادة في هذه المسألة: رسالة «مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية» للأخ محمد بن عبدالهادي الشيباني (ص١٢٦ وما بعدها).

(٣) ص(٣٩٦).

يتورع عن ارتكاب (كل) الأمور المحرمة في سبيل تثبيت ملكه وانتصاره على علي ـ رضي الله عنه ـ.

فقاتل الله الظلم والبغي، فقد قال ﷺ: «**إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق**»[1].

فما ظنك إذا كان هذا التطاول على عرض صحابي ـ كمعاوية ـ رضي الله عنه ـ.

ونظراً لأنه قد كثر الخوض في لمز هذا الصحابي الجليل ـ رضي الله عنه ـ من الروافض والزيدية وأشباههم ممن لا يتقون الله، ولا يحفظون لصحابة نبيه حقهم؛ فسأورد هنا أقوالاً لأهل السنة يذبون فيها عن عرض معاوية ـ رضي الله عنه ـ مُتْبعاً إياها بذكر ما ورد في فضائله؛ لعلها تكف ألسنة هؤلاء، أو تكون عوناً لأهل السنة عند مناظرتهم لهم.

فأقول:

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «وأبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، و**معاوية بن أبي سفيان**؛ هم من الصحابة،

---

(١) أخرجه أبو داود وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٣٣ و١٨٧١).

ولهم فضائل ومحاسن. **وما يُحْكى عنهم كثيرٌ منه كذب؛** والصدق منه إن كانوا فيه مجتهدين، فالمجتهد إذا أصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر، وخطؤه يُغفر له»(١).

وقال ـ رحمه الله ـ: «إيمان معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ ثابت بالنقل المتواتر، وإجماع أهل العلم على ذلك؛ كإيمان أمثاله ممن آمن عام فتح مكة، مثل أخيه يزيد بن أبي سفيان، ومثل سهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وأبي أسد بن أبي العاص بن أمية، وأمثال هؤلاء.

فإن هؤلاء يسمون «الطلقاء»: فإنهم آمنوا عام فتح النبي ﷺ مكة قهراً، وأطلقهم ومَنَّ عليهم، وأعطاهم وتألفهم، وقد روي: أن معاوية بن أبي سفيان أسلم قبل ذلك وهاجر، كما أسلم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة الحجبي ـ قبل فتح مكة ـ وهاجروا إلى المدينة، فإن كان هذا صحيحاً فهذا من المهاجرين.

وأما إسلامه عام الفتح مع من ذكر فمتفق عليه بين

---

(١) الفتاوى (٤/ ٤٣١).

العلماء؛ سواء كان أسلم قبل ذلك أو لم يكن إسلامه إلا عام فتح مكة؛ ولكن بعض الكذابين زعم أنه عير أباه بإسلامه، وهذا كذب بالاتفاق من أهل العلم بالحديث»[١].

وقال: «وكان يزيد بن أبي سفيان على الشام؛ إلى أن وَلي عمر؛ فمات يزيد بن أبي سفيان؛ فاستعمل عمر معاوية مكان أخيه يزيد بن أبي سفيان، وبقي معاوية على ولايته تمام خلافته، وعمر ورعيته تشكره، وتشكر سيرته فيهم، وتواليه وتحبه لما رأوا من حلمه وعدله؛ حتى أنه لم يَشْكه منهم مشتك، ولا تَظلمه منهم متظلم.

وقد شهد معاوية؛ وأخوه يزيد؛ وسهيل بن عمرو؛ والحارث بن هشام وغيرهم من مسلمة الفتح مع النبي ﷺ غزوة حنين؛ ودخلوا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾[٢]، وكانوا من المؤمنين الذين أنزل الله سكينتَه عَلَيْهم مع النبي ﷺ؛ وغزوة الطائف لما حاصروا الطائف ورماها بالمنجنيق، وشهدوا النصارى بالشام، وأنزل الله

---

(١) الفتاوى (٤/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤).

(٢) التوبة: ٢٦.

فيها سورة براءة؛ وهي غزوة العُسْرة، التي جهز فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه جيش العسرة بألف بعير في سبيل الله تعالى فأعوزت وكملها بخمسين بعيراً فقال النبي ﷺ: «**ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم**»، وهذا آخر مغازي النبي ﷺ، ولم يكن فيها قتال. . .

وهؤلاء المذكورون دخلوا في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾(١)، فإن هؤلاء الطلقاء مسلمة الفتح: هم ممن أنفق من بعد الفتح وقاتل، وقد وعدهم الله الحسنى، فإنهم أنفقوا بحنين والطائف، وقاتلوا فيهما رضي الله عنهم.

وهم أيضاً داخلون فيمن رضي الله عنهم، حيث قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾(٢)، فإن السابقين هم الذين أسلموا قبل الحديبية، كالذين بايعوه تحت الشجرة، الذين أنزل الله فيهم: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ

---

(١) الحديد: ١٠.
(٢) التوبة: ١٠٠.

﴿يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[١] كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، وكلهم من أهل الجنة، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة**». . .

وأما من بعد هؤلاء السابقين الأولين، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، فَهؤلاَءِ دَخَلُوا في قَوْله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٢] وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[٣]، وقد أسلم قبل فتح مكة خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة الحجبي، وغيرهم. وأسلم بعد الطلقاء أهل الطائف، وكانوا آخر الناس إسلاماً، وكان منهم عثمان بن أبي العاص الثقفي الذي أمَّرَه النبي ﷺ على أهل الطائف، وكان من خيار الصحابة؛ مع تأخر إسلامه.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ

---

(١) الفتح: ١٨.
(٢) النساء: ٩٥.
(٣) التوبة: ١٠٠.

ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾[1] فهذه عامة. وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[2].

فهذه الآية والتي قبلها: تتناول من دخل فيها بعد السابقين الأولين إلى يوم القيامة؛ فكيف لا يدخل فيها أصحاب رسول الله ﷺ الذين آمنوا به وجاهدوا معه؟

وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**» فمن كان قد أسلم من الطلقاء وهجر ما نهى الله عنه كان له معنى هذه الهجرة، فدخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

---

(١) الأنفال: ٧٤، ٧٥.

(٢) الحشر: ٨ ـ ١٠.

﴿مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾(١) كما دخل في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(٢).

وقد قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾(٣) فهذا يتناول الذين آمنوا مع الرسول مطلقاً.

وقد استفاض عن النبي ﷺ في الصحاح وغيرها من غير وجه أنه قال: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

وثبت عنه في الصحيح أنه كان بين عبدالرحمن وبين خالد كلام فقال: «**يا خالد لا تسبوا أصحابي. فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه**» قال ذلك لخالد ونحوه ممن أسلم بعد الحديبية، بالنسبة إلى

(١) الأنفال: ٧٥.
(٢) النساء: ٩٥.
(٣) الفتح: ٢٩.

السابقين الأولين. يقول: إذا أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصف مده.

وهؤلاء الذين أسلموا بعد الحديبية دخلوا في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[1] بهذه المنزلة.

وكيف يكون بعد أصحابه؟ والصحبة اسم جنس تقع على من صحب النبي ﷺ قليلاً أو كثيراً، لكن كل منهم له من الصحبة بقدر ذلك، فمن صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه مؤمناً، فله من الصحبة بقدر ذلك، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يغزو فئام من الناس فيقولون: هل فيكم من صحب النبي ﷺ». وفي لفظ: «هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم؛ ثم يغزو فئام من الناس فيقولون: هل فيكم من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ - وفي لفظ - هل فيكم من رأى من رأى رسول الله ﷺ؟» فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقولون: هل فيكم من رأى من رأى من رأى رسول الله ﷺ؟ - وفي لفظ؛ من صحب من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم» وفي بعض

---

(١) الحديد: ١٠.

الطرق فيذكر في الطبقة الرابعة كذلك.

فقد علق النبي ﷺ الحكم بصحبته وعلق برؤيته، وجعل فتح الله على المسلمين بسبب من رآه مؤمناً به.

وهذه الخاصية لا تثبت لأحد غير الصحابة، ولو كانت أعمالهم أكثر من أعمال الواحد من أصحابه ﷺ.

إذا تبين هذا؛ فمن المعلوم أن الطريق التي بها يعلم إيمان الواحد من الصحابة: هي الطريق التي بها يعلم إيمان نظرائه، والطريق التي تعلم بها صحبته هي الطريق التي يعلم بها صحبة أمثاله.

فالطلقاء الذين أسلموا عام الفتح مثل: معاوية، وأخيه يزيد، وعكرمة بن أبي جهل؛ وصفوان بن أمية، والحارث بن هشام؛ وسهيل بن عمرو. وقد ثبت بالتواتر عند الخاصة إسلامهم وبقاؤهم على الإسلام إلى حين الموت.

ومعاوية أظهر إسلاماً من غيره، فإنه تولى أربعين سنة؛ عشرين سنة نائباً لعمر وعثمان، مع ما كان في خلافة علي رضي الله عنه، وعشرين سنة مستولياً؛ وأنه تولى سنة ستين بعد موت النبي ﷺ بخمسين سنة.

وسلَّم إليه الحسن بن علي رضي الله عنهما الأمر عام

أربعين، الذي يقال له عام الجماعة لاجتماع الكلمة وزوال الفتنة بين المسلمين.

والذين نسبوا هؤلاء[1] إلى الردة، يقول بعضهم: إنه مات ووجهه إلى الشرق والصليب على وجهه، وهذا مما يعلم كل عاقل أنه من أعظم الكذب والفرية عليه. ولو قال قائل هذا فيمن هو دون معاوية من ملوك بني أمية وبني العباس: كعبدالملك بن مروان وأولاده، وأبي جعفر المنصور وولديه ـ الملقبين بالمهدي والهادي ـ والرشيد، وأمثالهم من الذين تولوا الخلافة وأمر المؤمنين؛ فمن نسب واحداً من هؤلاء إلى الردة، وإلى أنه مات على دين النصارى لعلم كل عاقل أنه من أعظم الناس فرية، فكيف يقال مثل هذا في معاوية وأمثاله من الصحابة؟!!

بل يزيد ابنه مع ما أحدث من الأحداث، من قال فيه: إنه كافر مرتد، فقد افترى عليه. بل كان ملكاً من ملوك المسلمين كسائر ملوك المسلمين. وأكثر الملوك لهم حسنات ولهم سيئات، وحسناتهم عظيمة، وسيئاتهم عظيمة، فالطاعن في واحد منهم دون نظرائه إما جاهل، وإما ظالم.

---

(١) أي: معاوية ـ رضي الله عنه ـ ومسلمة الفتح.

وهؤلاء لهم ما لسائر المسلمين، منهم من تكون حسناته أكثر من سيئاته، ومنهم من قد تاب من سيئاته، ومنهم من كفر الله عنه، ومنهم من يدخله الجنة، ومنهم من قد يعاقبه لسيئاته، ومنهم من قد يتقبل الله فيه شفاعة نبي أو غيره من الشفعاء، فالشهادة لواحد من هؤلاء بالنار هو من أقوال أهل البدع والضلال.

ومن قال عن معاوية وأمثاله؛ ممن ظهر إسلامه وصلاته، وحجه وصيامه، أنه لم يسلم، وأنه كان مقيماً على الكفر: فهو بمنزلة من يقول ذلك في غيره، كما لو ادعى مدع ذلك في العباس، وجعفر، وعقيل، وفي أبي بكر، وعمر، وعثمان. وكما لو ادعى أن النبي ﷺ لم يتزوج ابنة أبي بكر وعمر، ولم يزوج بنتيه عثمان؛ بل إنكار إسلام معاوية أقبح من إنكار هذه الأمور، فإن منها ما لا يعرفه إلا العلماء.

وأما إسلام معاوية وولايته على المسلمين والإمارة والخلافة فأمر يعرفه جماهير الخلق، ولو أنكر منكر إسلام علي أو ادعى بقاءه على الكفر؛ لم يُحْتج عليه إلا بمثل ما يُحْتج به على من أنكر إسلام أبي بكر؛ وعمر؛ وعثمان، ومعاوية وغيرهم. وإن كان بعضهم أفضل من بعض، فتفاضلهم لا يمنع

اشتراكهم في ظهور إسلامهم.

وأما قول القائل: إيمان معاوية كان نفاقاً؛ فهو أيضاً من الكذب المختلق. فإنه ليس في علماء المسلمين من اتهم معاوية بالنفاق؛ بل العلماء متفقون على حسن إسلامه؛ وقد توقف بعضهم في حسن إسلام أبي سفيان: ـ أبيه ـ وأما معاوية؛ وأخوه يزيد، فلم يتنازعوا في حسن إسلامهما، كما لم يتنازعوا في حسن إسلام عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وأمثالهم من مسلمة الفتح، وكيف يكون رجلاً متولياً على المسلمين أربعين سنة نائباً ومستقلاً، يصلي بهم الصلوات الخمس، ويخطب ويعظهم، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويقيم فيهم الحدود، ويقسم بينهم فيئهم ومغانمهم وصدقاتهم، ويحج بهم، ومع هذا يخفى نفاقه عليهم كلهم؟ وفيهم من أعيان الصحابة جماعة كثيرة.

بل أبلغ من هذا أنه ـ ولله الحمد ـ لم يكن من الخلفاء الذين لهم ولاية عامة: من خلفاء بني أمية، وبني العباس أحد يتهم بالزندقة والنفاق.

وبنو أمية، لم ينسب أحد منهم إلى الزندقة والنفاق وإن كان قد ينسب الرجل منهم إلى نوع من البدعة، أو نوع من

الظلم، لكن لم ينسب أحداً منهم من أهل العلم: إلى زندقة ونفاق.

واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك؛ كان ملكه ملكاً ورحمة، كما جاء في الحديث: «**يكون الملك نبوة ورحمة، ثم تكون خلافة ورحمة، ثم يكون مِلك ورحمة، ثم ملك وجبرية، ثم ملك عضوض**» وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين ما يعلم أنه كان خيراً من ملك غيره»[١].

وقال ـ أيضاً ـ شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «وفضائل معاوية في حسن السيرة والعدل والإحسان كثيرة. وفي الصحيح أن رجلاً قال لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية؟ إنه أوتر بركعة؟ قال: أصاب إنه فقيه[٢].

وروى البغوي في معجمه بإسناده، ورواه ابن بطة من وجه آخر، كلاهما عن سعيد بن عبدالعزيز، عن إسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر، عن قيس بن الحارث، عن الصنابحي، عن أبي

---

(١) الفتاوى (٤/٤٥٧ ـ ٤٧٨) باختصار.
(٢) أخرجه البخاري (٥/٢٨ ـ ٢٩) (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر معاوية ـ رضي الله عنه ـ).

الدرداء قال: ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا. يعني معاوية[١].

فهذه شهادة الصحابة بفقهه ودينه، والشاهد بالفقه ابن عباس، وبحسن الصلاة أبو الدرداء، وهما هما. والآثار الموافقة لهذا كثيرة»[٢].

وقال - أيضاً - رحمه الله - فيمن يلعن معاوية - رضي الله عنه -: «الحمد لله من لعن أحداً من أصحاب النبي ﷺ - كمعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص ونحوهما؛ ومن هو أفضل من هؤلاء: كأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، ونحوهما؛ أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة، والزبير، وعثمان، وعلي بن أبي طالب، أو أبي بكر الصديق، وعمر، أو عائشة أم المؤمنين، وغير هؤلاء من أصحاب النبي ﷺ - فإنه مستحق للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين، وتنازع العلماء: هل يعاقب بالقتل؟ أو ما دون القتل؟ كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٧): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير قيس بن الحارث المذحجي، وهو ثقة».

(٢) منهاج السنة (٦/ ٢٣٥).

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده! لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**». واللعنة أعظم من السب. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعن المؤمن كقتله**» فقد جعل النبي ﷺ لعن المؤمن كقتله.

وأصحاب رسول الله ﷺ خيار المؤمنين، كما ثبت عنه أنه قال: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم**» وكل من رأى رسول الله ﷺ مؤمناً به فله من الصحبة بقدر ذلك، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «**يغزو جيش، فيقول: هل فيكم من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم. ثم يغزو جيش فيقول: هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون، نعم. فيفتح لهم، وذكر الطبقة الثالثة**» فعلق الحكم برؤية رسول الله ﷺ، كما علقه بصحبته»[١].

وقال: «وأما معاوية بن أبي سفيان وأمثاله من الطلقاء الذين أسلموا بعد فتح مكة: كعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وأبي سفيان بن

---

(١) الفتاوى (٣٥/٥٨ ـ ٥٩).

الحارث بن عبد المطلب: هؤلاء وغيرهم ممن حسن إسلامهم باتفاق المسلمين، ولم يتهم أحد منهم بعد ذلك بنفاق. ومعاوية قد استكتبه رسول الله ﷺ وقال: **«اللهم علمه الكتاب والحساب، وقه العذاب»**.

وكان أخوه يزيد بن أبي سفيان خيراً منه وأفضل، وهو أحد الأمراء الذين بعثهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه في فتح الشام، ووصاه بوصية معروفة، وأبو بكر ماش، ويزيد راكب فقال له: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل. فقال: لستُ براكب، فقال له: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل. فقال: لستُ براكب، ولست بنازل. إني أحتسب خطاي في سبيل الله. وكان عمرو بن العاص هو الأمير الآخر والثالث شرحبيل بن حسنة، والرابع خالد بن الوليد، وهو أميرهم المطلق، ثم عزله عمر، وولى أبا عبيدة عامر بن الجراح، الذي ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ شهد له أنه أمين هذه الأمة، فكان فتح الشام على يد أبي عبيدة، وفتح العراق على يد سعد بن أبي وقاص.

ثم لما مات يزيد بن أبي سفيان في خلافة عمر استعمل أخاه معاوية، وكان عمر بن الخطاب من أعظم الناس فراسة،

وأخبرهم بالرجال، وأقومهم بالحق، وأعلمهم به، حتى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر. وقال النبي ﷺ: «**لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر**» وقال ابن عمر: ما سمعت عمر يقول في الشيء إني لأراه كذا وكذا الاكان كما رآه. وقد قال له النبي ﷺ: «**ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك**». ولا استعمل عمر قط؛ بل ولا أبو بكر على المسلمين منافقاً، ولا استعملا من أقاربهما، ولا كان تأخذهما في الله لومة لائم؛ بل لما قاتلا أهل الردة وأعادوهم إلى الإسلام منعوهم ركوب الخيل وحمل السلاح حتى تظهر صحة توبتهم، وكان عمر يقول لسعد بن أبي وقاص وهو أمير العراق: لا تستعمل أحداً منهم، ولا تشاورهم في الحرب فإنهم كانوا أمراء أكابر: مثل طليحة الأسدي، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، والأشعث بن قيس الكندي، وأمثالهم، فهؤلاء لما تخوف أبو بكر وعمر منهم نوع نفاق لم يولهم على المسلمين.

فلو كان عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وأمثالهما ممن يتخوف منهما النفاق لم يولوا على المسلمين؛ بل عمرو بن العاص قد أمره النبي ﷺ في غزوة ذات السلاسل، والنبي ﷺ لم يول على المسلمين منافقاً، وقد استعمل على نجران أبا

سفيان بن حرب أبا معاوية، ومات رسول الله ﷺ وأبو سفيان نائبة على نجران، وقد اتفق المسلمون على أن إسلام معاوية خير من إسلام أبيه أبي سفيان، فكيف يكون هؤلاء منافقين والنبي ﷺ يأتمنهم على أحوال المسلمين في العلم والعمل؟!! وقد علم أن معاوية وعمرو بن العاص وغيرهما كان بينهم من الفتن ما كان، ولم يتهمهم أحد من أوليائهم، ولا محاربوهم، وغير محاربيهم: بالكذب على النبي ﷺ؛ بل جميع علماء الصحابة والتابعين بعدهم متفقون على أن هؤلاء صادقون على رسول الله، مأمونون عليه في الرواية عنه، والمنافق غير مأمون على النبي ﷺ؛ بل هو كاذب عليه، مكذب له»[١].

أما فضائله ـ رضي الله عنه ـ فهي كثيرة[٢]:

منها ما سبق في صحيح البخاري من وصف ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ له بأنه «فقيه» وابن عباس ـ رضي الله عنه ـ لا يلقي الكلام على عواهنه، فهو يعني ما يقول.

ـ ومنها قول رسول الله ﷺ له: **«اللهم اجعله هادياً مهدياً واهدِ به»**[٣].

---

(١) الفتاوى (٣٥/ ٦٤ ـ ٦٦).

(٢) انظر: «الانتصار للصحب والآل» للدكتور إبراهيم الرحيلي (ص٣٦٦ وما بعدها).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٨٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٦١٥).

- ومنها أنه ﷺ قد اتخذه كاتباً للوحي[١].

- ومنها: أقوال أجلاء الصحابة والتابعين وغيرهم في الثناء عليه -رضي الله عنه :-

فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال لما ولّاه الشام: «لا تذكروا معاوية إلا بخير»[٢].

وعن علي -رضي الله عنه -أنّه قال بعد رجوعه من صفين: «أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل»[٣].

وعن ابن عمر أنه قال: «ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود[٤] من معاوية، فقيل: ولا أبوك؟ قال: أبي عمر - رحمه

---

(١) كما في صحيح مسلم (٤/ ١٩٤٥)، أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ: ثلاث أعطنيهنّ، قال «نعم».. وفيه «معاوية تجعله كاتباً بين يديك؟ قال: «نعم».

(٢) أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ١٢٥.

(٣) المصدر السابق ٨/ ١٣٤.

(٤) من السيادة وسمي السيد سيداً لأنه يسود سواد الناس، لسان العرب ٣/ ٢٢٩.

الله ـ خير من معاوية، وكان معاوية أسود منه»[١].

وعن ابن عباس قال: «ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية»[٢].

وعن عبدالله بن الزبير أنه قال: «لله در ابن هند (يعني معاوية) إنا كنا لنفرقه[٣] وما الليث على براثنه بأجرأ منه، فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا، والله لوددت أنا مُتّعنا به ما دام في هذا الجبل حجر، وأشار إلى أبي قبيس»[٤].

وعن قتادة قال: «لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم هذا المهدي»[٥].

وعن مجاهد أنه قال: «لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي»[٦].

---

(١) أخرجه الخلال في السنة ١/ ٤٤٣، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/ ١٥٢، وابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ١٣٧.

(٢) أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ١٣٧.

(٣) الفَرَق هو: الخوف والفزع، النهاية لابن الأثير ٣/ ٤٣٨.

(٤) أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ١٣٨.

(٥) أخرجه الخلال في السنة ١/ ٤٣٨.

(٦) المصدر نفسه. وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ١٣٧.

وعن الزهري قال: «عمل معاوية بسيرة عمر بن الخطاب سنين لا يخرم منها شيئاً»[١].

وعن الأعمش أنه ذكر عنده عمر بن عبدالعزيز وعدله فقال: «فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: يا أبا محمد يعني في حلمه؟ قال: لا والله، بل في عدله»[٢].

وسئل المعافى: معاوية أفضل أو عمر بن عبدالعزيز؟ فقال: «كان معاوية أفضل من ستمائة مثل عمر بن عبدالعزيز»[٣].

وقال ابن قدامة المقدسي: «ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، وأحد خلفاء المسلمين ـ رضي الله تعالى عنهم ـ»[٤].

وقال ابن كثير في ترجمة معاوية ـ رضي الله عنه ـ: «وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين... فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها

---

(١) أخرجه الخلال في السنة ١/ ٤٤٤، وقال المحقق: إسناده صحيح.
(٢) أخرجه الخلال في السنة ١/ ٤٣٧.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٤٣٥.
(٤) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ص٣٣.

وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو»[١].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وأول ملوك المسلمين معاوية وهو خير ملوك المسلمين»[٢].

وقال الذهبي في ترجمته: «أمير المؤمنين ملك الإسلام»[٣].

وقال: «ومعاوية من خيار الملوك، الذين غلب عدلهم على ظلمهم»[٤].

○ **الملاحظة الرابعة:**

أنه بالغ في التجني على يزيد بن معاوية عندما قال عنه: «فيزيد هذا كان فاسداً في كل شيء.. لم تكن له فضيلة واحدة تشفع لجرائمه وآثامه التي رواها لنا التاريخ»[٥].

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ١٢٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٧٢٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ١٢٠.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ١٥٩.

(٥) (ص٧٠٨).

وهذا ظلمٌ بين ليزيد بن معاوية الذي لم يكن حقيقاً بهذا الوصف السيء من خالد محمد خالد، رغم أننا لا ننكر ما وقع فيه يزيد من تجاوزات وأخطاء وانحرافات[1]، إلا أنه لم يكن «فاسداً في كل شيء» كما يزعم خالد.

والقول الصواب فيه ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في فتواه عنه[2] قال: «افترق الناس في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثلاث فرق؛ طرفان ووسط.

فأحد الطرفين قالوا: إنه كان كافراً منافقاً، وإنه سعى في قتل سبط رسول الله، تشفياً من رسول الله ﷺ وانتقاماً منه، وأخذاً بثأر جده عتبة، وأخي جده شيبة، وخاله الوليد بن عتبة، وغيرهم ممن قتلهم أصحاب النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب وغيره يوم بدر وغيرها؛ وقالوا: تلك أحقاد بدرية، وآثار جاهلية، وأنشدوا عنه:

---

(١) فلا نتطرف ضده كفعل الروافض (ومن شابههم!) ولا نغلو فيه كفعل من أراد أن يغيظ الرافضة؛ فأحلَّ يزيد مكاناً علياً! كما صنع عيد الشمري في رسالته «يزيد بن معاوية المفترى عليه»!

(٢) الفتاوى (٤/ ٤٨١ ـ ٤٨٦) وطبعها صلاح الدين المنجد مفردة معتمداً على عدة مخطوطات.

لمـا بـدت تلـك الخمـول وأشـرفـت
تلـك الـرؤوس علـى ربـى جيـرون
نعـق الغـراب، فقلـت نـح أو لا تنـح
فلقـد قضيـت مـن النبـي ديـونـي

وقالوا: إنه تمثل بشعر ابن الزبعري الذي أنشده يوم أحد:

ليـت أشيـاخـي ببـدرٍ شهـدوا
جـزعَ الخـزرج مـن وقـع الأسَـل
قـد قتلنـا الكثيـر مـن أشيـاخهـم
وعـدلنـاهُ ببـدرٍ فـاعتـدل

وأشياء من هذا النمط.

وهذا القول سهل على الرافضة الذين يكفرون أبا بكر، وعمر، وعثمان؛ فتكفير يزيد أسهل بكثير.

والطرف الثاني يظنون أنه كان رجلاً صالحاً وإمام عدل، وأنه كان من «الصحابة» الذين ولدوا على عهد النبي ﷺ، وحمله على يديه وبرك عليه، وربما فضله بعضهم على أبي بكر وعمر. وربما جعله بعضهم نبياً، ويقولون عن الشيخ عدي، أو حسن المقتول ـ كذباً عليه ـ إن سبعين ولياً صرفت وجوههم عن القبلة لتوقفهم في يزيد.

وهذا قول غالية العدوية والأكراد ونحوهم من الضلال فإن الشيخ عدياً كان من بني أمية وكان رجلاً صالحاً عابداً فاضلاً، ولم يحفظ عنه أنه دعاهم إلا إلى السنة التي يقولها غيره كالشيخ أبي الفرج المقدسي، فإن عقيدته موافقة لعقيدته؛ لكن زادوا في السنة أشياء كذب وضلال، من الأحاديث الموضوعة والتشبيه الباطل. والغلو في الشيخ عدي وفي يزيد، والغلو في ذم الرافضة، بأنه لا تقبل لهم توبة، وأشياء أخر. وكلا القولين ظاهر البطلان عند من له أدنى عقل وعلم بالأمور وسير المتقدمين؛ ولهذا لا ينسب إلى أحد من أهل العلم المعروفين بالسنة، ولا إلى ذي عقل من العقلاء الذين لهم رأي وخبرة.

والقول الثالث: أنه كان ملكاً من ملوك المسلمين، له حسنات وسيئات، ولم يولد إلا في خلافة عثمان، ولم يكن كافراً؛ ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع «الحسين» وفَعَل ما فعل بأهل الحرة، ولم يكن صاحباً ولا من أولياء الله الصالحين، وهذا قول عامة أهل العقل والعلم والسنة والجماعة.

ثم افترقوا ثلاث فرق، فرقة لعنته، وفرقة أحبته، وفرقة لا تسبه ولا تحبه، وهذا هو المنصوص عن الإمام أحمد، وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم من جميع المسلمين.

قال صالح بن أحمد: قلت لأبي: إن قوماً يقولون: إنهم يحبون يزيد، فقال: يا بني! وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقلت: يا أبت فلماذا لا تلعنه؟ فقال يا بني! ومتى رأيت أباك يلعن أحداً.

وقال مهنا: سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. فقال: هو الذي فعل بالمدينة ما فعل! قلت: وما فعل؟ قال: قتل من أصحاب رسول الله ﷺ وفعل. قلت: وما فعل؟ قال: نهبها، قلت: فيذكر عنه الحديث؟ قال: لا يذكر عنه حديث. وهكذا ذكر القاضي أبو يعلى وغيره.

وقال أبو محمد المقدسي لما سُئل عن يزيد: فيما بلغني لا يسب ولا يحب.

وبلغني أيضاً أن جدنا أبا عبدالله بن تيمية سئل عن يزيد. فقال: لا تنقص ولا تزيد. وهذا أعدل الأقوال فيه وفي أمثاله وأحسنها.

أما ترك سبه ولعنته، فبناء على أنه لم يثبت فسقه الذي يقتضي لعنه، أو بناء على أن الفاسق المعين لا يلعن بخصوصه. إما تحريماً، وإما تنزيهاً. فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمر في قصة «حمار» الذي تكرر منه شرب الخمر وجلده لما لعنه

بعض الصحابة، قال النبي ﷺ: **«لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله»** وقال: **«لعن المؤمن كقتله»** متفق عليه.

هذا مع أنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه لعن الخمر وشاربها، فقد ثبت أن النبي لعن عموماً شارب الخمر، ونهى في الحديث الصحيح عن لعن هذا المعين.

وهذا كما أن نصوص الوعيد عامة في أكل أموال اليتامى، والزاني، والسارق فلا نشهد بها عامة على معين بأنه من أصحاب النار؛ لجواز تخلف المقتضى عن المقتضى لمعارض راجح: إما توبة؛ وإما حسنات ماحية؛ وإما مصائب مكفرة؛ وإما شفاعة مقبولة؛ وإما غير ذلك كما قررناه في غير هذا الموضع، فهذه ثلاث مآخذ.

ومن اللاعنين من يرى أن ترك لعنته مثل ترك سائر المباحات من فضول القول، لا لكراهة في اللعنة، وأما ترك محبته فلأن المحبة الخاصة إنما تكون للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ وليس واحداً منهم، وقد قال النبي ﷺ **«المرء مع من أحب»** ومن آمن بالله واليوم الآخر: لا يختار أن يكون مع يزيد، ولا مع أمثاله من الملوك؛ الذين ليسوا بعادلين ولترك المحبة مأخذان:

(أحدهما): أنه لم يصدر عنه من الأعمال الصالحة ما يوجب محبته، فبقي واحداً من الملوك المسلطين، ومحبة أشخاص هذا النوع ليست مشروعة؛ وهذا المأخذ، ومأخذ من لم يثبت عنده فسقه اعتقد تأويلاً.

(والثاني): أنه صدر عنه ما يقتضي ظلمه وفسقه في سيرته؛ وأمر الحسين وأمر أهل الحرة.

وأما الذين لعنوه من العلماء، كأبي الفرج بن الجوزي، والكيا الهراس وغيرهما: فلما صدر عنه من الأفعال التي تبيح لعنته، ثم قد يقولون هو فاسق وكل فاسق يلعن. وقد يقولون بلعن صاحب المعصية وإن لم يحكم بفسقه، كما لعن أهل صفين بعضهم بعضاً في القنوت، فلعن علي وأصحابه في قنوت الصلاة رجالاً معينين من أهل الشام؛ وكذلك أهل الشام لعنوا، مع أن المقتتلين من أهل التأويل السائغ: العادلين، والباغين: لا يفسق واحد منهم. وقد يلعن لخصوص ذنوبه الكبار، وإن كان لا يلعن سائر الفساق. كما لعن رسول الله ﷺ أنواعاً من المعاصي، وأشخاصاً من العصاة؛ وإن لم يلعن جميعهم، فهذه ثلاثة مآخذ للعنته.

وأما الذين سوغوا محبته أو أحبوه، كالغزالي، والدستي

فلهم مأخذان :

(أحدهما) : أنه مسلم ولي أمر الأمة على عهد الصحابة وتابعه بقاياهم، وكانت فيه خصال محمودة، وكان متأولاً فيما ينكر عليه من أمر الحرة وغيره، فيقولون: هو مجتهد مخطئ، ويقولون: إن أهل الحرة هم نقضوا بيعته أولاً، وأنكر ذلك عليهم ابن عمر وغيره، وأما قتل الحسين فلم يأمر به ولم يرض به، بل ظهر منه التألم لقتله، وذم من قتله، ولم يحمل الرأس إليه وإنما حمل إلى ابن زياد.

(والمأخذ الثاني) : أنه قد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**أول جَيْش يغزو القسطنطينية مغفور له**» وأول جيش غزاها كان أميره يزيد» .

○ **الملاحظة الخامسة:**

أنه تهجم على دولة بني أمية وعلى رأسها الصحابي أبو سفيان ـ رضي الله عنه ـ بقوله في ترجمة عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ: «إن أصحاب الرسول السابقين ـ وعماراً منهم ـ قاتلوا الأمويين بالأمس، وعلى رأسهم أبو سفيان الذي كان يحمل لواء

الشرك، ويقود جيوش المشركين»[١] أي في بدر وأحد، ثم قاتلوهم اليوم، أي في زمن معاوية ـ رضي الله عنه ـ!!

قلت: رسول الله ﷺ وصحابته لم يقاتلوا بني أمية ـ كما يزعم خالد ـ إنما قاتلوا كفار قريش جميعاً، من بني أمية ومن غيرهم، وفي مقدَّمهم ثلةٌ من بني هاشم!

فلماذا تخصيصهم دون من سواهم؟!

أم أنه الافتراء والحيف على الأمويين؟![٢] وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[٣] فإن الأمويين ـ برغم أخطائهم وتجاوزات بعض ولاتهم ـ كانوا خيراً ممن جاء بعدهم من العباسيين وأضرابهم، لأنهم حافظوا في عصرهم على نقاوة الإسلام

---

(١) ص (٢٧٦).

(٢) ومن ذلك ما صنعه المقريزي في كتابه «التحاكم فيما بين بني أمية وبني هاشم من التخاصم» حيث دعا بدعوى الجاهلية؛ عندما زعم أن ثمَّ عداءٌ دفينٌ بين الفريقين عندما كانا في الجاهلية ثم استمر معهما في ظل الإسلام! وهذا افتراء لا دليل عليه سوى الوساوس والظنون ومتابعة أهواء الرافضة وتخيلاتهم التي تُضخم الأمور، وتصورها على غير صورتها، زاعمين بذلك نُصْرة أهل البيت.

(٣) المائدة: ٨.

الأولى، ونشروه في الآفاق، وبشروا به في البلدان المختلفة، واعتزت العربية في مجالسهم، ولم يوردوا أمتهم المهالك، أو يُعَرِّضوها لتيارات الإلحاد والزندقة التي قدمت مع ترجمة علوم الفلسفة التي ابتلي بها غيرهم.

فهم ـ كما قال الدكتور يوسف العش ـ برغم أخطائهم التي لا تُنكر ـ: «مسلمون، يقصدون نشر الإسلام إلى أبعد الأصقاع، ويقومون بالجهاد خير قيام، ويُرسلون البعوث إلى كل مكان...»[١].

وانظر تعليقاً لمحب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ على «العواصم» لابن العربي (ص١٧٩) يبين فيه سبب تشويه تاريخ الأمويين.

○ **الملاحظة السادسة:**

إثباته لجميع ما جاء في قضية التحكيم بين علي ومعاوية ـ رضي لله عنهما ـ عند ترجمته لأبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ، أي أن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قد خلع علياً من الخلافة وثبّت معاوية خليفةً للمسلمين!

---

(١) الدولة الأموية (ص٣٤٦).

يقول خالد حاكياً ما جرى بين الحَكَمين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ:

«واجتمعا في اليوم التالي . . «أبو موسى»، ممثلاً لجبهة «الإمام عليّ» و«عمرو بن العاص» ممثلاً لجبهة «معاوية» . .

ودعا «أبو موسى» «عَمْراً» ليتحدّث . . فأبى «عمرو» وقال له : «ما كنتُ لأتقدَّمَك وأنت أكثر مَني فضلاً . . وأقدمُ هجرة . . وأكبر سناً»!!

وتقدم «أبو موسى» واستقبل الحشود الرابضة من كلا الفريقين . .

وقال : «أيها الناس . . إنا قد نظرنا فيما يجمع الله به ألفة هذه الأمة ويصلح أمرها، فلم نرَ شيئاً أبلغ من خلع الرجلين ـ عليّ ومعاوية ـ وجَعلها شورى يختار الناس لأنفسهم من يرونه لها . .

«وإني قد خَلَعْتُ علياً ومعاوية . . ».

فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من أحببتم» . .

وجاء دور «عمرو بن العاص»، ليعلن خَلْعَ معاوية، كما خلع «أبو موسى» علياً، تنفيذاً للاتفاق المبرم بالأمس . .

وصعد «عمرو» المنبر، وقال: «أيها الناس، إن أبا موسى قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه..»

«ألاَ وإني قد خَلَعْتُ صاحبه كما خلعه، وأُثْبِتُ صاحبي معاوية، فإنه وليُّ أمير المؤمنين «عثمان» والمطالب بدمه، وأحقُّ الناس بمقامه..»!!

ولم يحتمل «أبو موسى» وَقع المفاجأة، فَلَفح «عمراً» بكلمات غاضبة ثائرة..

وعاد من جديد إلى عُزْلته، وأغَذَّ خطاه إلى مكة.. إلى جوار البيت»[١].

قلت: قصة التحكيم بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ التي فيها أن أبا موسى ـ رضي الله عنه ـ قد خلع علياً، وأن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قد خلع علياً وأثبت معاوية بدلاً منه... هي قصة باطلة، وإن أولع بها بعضُ المؤرخين. قال ابن العربي: «قد تحكم الناس في التحكيم، فقالوا فيه مالا يُرضي الله، وإذا لاحظتموه بعين المروءة ـ دون الديانة ـ رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر: عدمُ الدين،

(١) (ص٧٥٥ ـ ٧٥٦).

وفي الأقل: جهلٌ بَيِّن»[١].

وقال: «هذا كله كذب صراح، ما جرى منه حرفٌ قط، وإنما هو شيء اخترعته المبتدعة. . .»[٢].

وقد جمع الشيخ يحيى اليحيى في رسالته «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري»[٣] روايات هذه القصة، وفندها جميعاً مبيناً تهافتها وضعفها، ثم قال ـ حفظه الله ـ:

«لقد كثر الكلام حول قصة التحكيم، وتداولها المؤرخون والكتاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها، فهم ما بين مطيل في سياقها ومختصر، وشارح ومستنبط للدروس وبان للأحكام على مضامينها. وقلما تجد أحداً وقف عندها فاحصاً محققاً. وقد أحسن ابن العربي في ردها إجمالاً وإن كان غير مفصل[٤]. وفي هذا دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص، إذ أن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمي، بل

---

(١) العواصم من القواصم (ص١٧٥) وراجع تعليقات محب الدين الخطيب عليها.

(٢) المصدر السابق (ص١٧٩).

(٣) (ص٣٧٧ ـ ٤١٨).

(٤) في «العواصم» ـ كما سبق ـ.

هي باطلة من عدة وجوه :

الأول : أن جميع طرقها ضعيفة[١] .

الثاني : أهمية هذه القضية في جانب الاعتقاد والتشريع ، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح ، ومن المحال أن يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها .

الثالث : وردت رواية تناقض تلك الروايات تماماً ، وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصراً بسند رجاله ثقات ، وأخرجه ابن عساكر مطولاً ، عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له : «إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره فأته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه كيف صنعتما فيه؟ قال : قد قال الناس وقالوا ولا والله ما كان ما قالوا ، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له : ما ترى في هذا الأمر؟ قال : أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض . قال : فقلت : أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال : إن يستعن بكما ففيكما معونة ، وإن يستغني

---

(١) وقد ذكرها الشيخ يحيى وضعفها جميعاً هنا ، وقد حذفتها اختصاراً .

عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما»[١].

فهذه الرواية لم تذكر خدعة ولا مكراً، ولا تولية ولا عزلاً. وقول أبي موسى هذا القول وهو يعلم أنه لم يبق من العشرة المبشرين بالجنة إلا سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، وعلي بن طالب، وهو أفضلهم وأجلهم، وقد اعتزلا الفتنة ولم يرغبا في ولاية ولا إمارة. فلم يبق إذاً إلا علي ـ رضي الله عنه ـ.

الرابع: أن معاوية كان يقر بفضل علي عليه، وأنه أحق بالخلافة منه فلم ينازعه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة علي. فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد[٢] عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: «أنت تنازع علياً في الخلافة أو أنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه؟ فأتوا علياً فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان وأسلم له. فأتوا علياً فكلموه فلم يدفعهم إليه»[٣] فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ. فالتحكيم من أجل حل هذه القضية

---

(١) التاريخ الكبير: ٥/٣٩٨، تاريخ دمشق: ١٣/ ٢٦٢ ب.
(٢) فتح الباري: ١٣/ ٨٦.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٤٠، فتح الباري: ١٣/ ٨٦.

المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزلة[١].

الخامس: أن الشروط التي يجب توفرها في الخليفة هي العدالة والعلم، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، وأن يكون قرشياً[٢].

وقد توفرت هذه الشروط في علي ـ رضي الله عنه ـ فهل بيعته منعقدة أم لا؟ فإن كانت منعقدة ـ ولا شك في ذلك وقد بايعه المهاجرون والأنصار أهل الحل والعقد، وخصومه يرون له بذلك، فقول معاوية السابق يدل عليه ـ فمن يحل هذا العقد ومتى يحل وتنقض البيعة؟ أجيب عن ذلك بأن «الإمام إذا لم يَخْل عن صفات الأئمة، فرام العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً باتفاق الأئمة، فإن عقد الإمامة لازم، لا اختيار في حله من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصود منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تخير

---

(١) وقد سبق في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أثناء الدفاع عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ أن معاوية لم ينازع علياً الخلافة، حيث لم يخطر ذلك بباله أصلاً.

(٢) انظر هذه الشروط وشرحها في الأحكام السلطانية للماوردي (ص٦)، والأحكام السلطانية لأبي يعلى (ص٢٠)، وغياث الأمم (ص٧٩ وما بعدها).

الرعايا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار لما استتب للإمام طاعة ولما استمرت له قدرة واستطاعة، ولما صح لمنصب الإمام معنى»[١].

وإذاً فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات كل من لم يرض بإمامه خلعه.

فعقدُ الإمامة لا يحله إلا من عقده، وهم أهل الحل والعقد وبشرط إخلال الإمام بشروط الإمامة، وهل علي ـ رضي الله عنه ـ فعل ذلك واتفق أهل الحل والعقد على عزله عن الخلافة حتى يقال: إن الحكمين اتفقا على ذلك! «فما ظهر منه قط إلى أن مات ـ رضي الله عنه ـ شيء يوجب نقض بيعته، وما ظهر منه قط إلا العدل، والجد، والبر، والتقوى، والخير»[٢].

السادس: أن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة، وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة! لاشك أن الأحوال ستزداد سوءاً، والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا على هذا.

---

(١) غياث الأمم ص١٢٨.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٢٣٨.

السابع: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حصر الخلافة في أهل الشورى وهم الستة وقد رضي المهاجرون والأنصار بذلك، فكان ذلك إذناً في أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلى غيرهم ما بقي منهم واحد، ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص، وقد اعتزل الأمر ورغب عن الولاية والإمارة، وعلي بن أبي طالب القائم بأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان فكيف يتخطى بالأمر إلى غيره؟!

الثامن: أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم. والسؤال: ما المسوغ الذي جعل أهل الشام يبايعون معاوية؟ إن كان من أجل التحكيم، فالحكمان لم يتفقا ولم يكن ثمة مبرر آخر حتى ينسب عنهم ذلك، مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبدالعزيز التنوخي[١] أعلم الناس بأمر الشام[٢] أنه قال: «كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعى الأمير فلما مات علي دعي

---

(١) سعيد بن عبدالعزيز التنوخي ثقة إمام (التقريب).

(٢) قال الحاكم: هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة (تهذيب التهذيب: ٤/ ٦٠).

معاوية بالشام أمير المؤمنين»[١] فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي. وإلى هذا ذهب الطبري. فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: «وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء»[٢] وعلق على هذا ابن كثير بقوله: «يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع»[٣].

وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس «كفئاً لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي ـ رضي الله عنه ـ فإن فضل علي وسابقته، وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم رضي الله عنهم»[٤] وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا**

---

(١) تاريخ دمشق: ١٦/ ٣٦٠ أ، وأخرجه الطبري عنه أيضاً: ٦/ ١٦١.
(٢) تاريخ الطبري؛ ٥/١٦١، وإيلياء هي بيت المقدس كما هو معلوم.
(٣) البداية والنهاية: ٨/ ١٦.
(٤) فتاوى ابن تيمية: ٣٥/ ٧٣.

الآخر منهما»[١] والنصوص في هذا المعنى كثيرة[٢]. ومن المحال أن يطبق الصحابة على مخالفة ذلك»[٣].

○ **الملاحظة السابعة:**

استشهاده بالأحاديث الضعيفة في كتابه هذا:

كحديث: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته**»[٤].

وحديث معاذ عندما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن فقال له: «**بم تقضي يا معاذ؟**»... الحديث[٥].

وحديث: «**اشتاقت الجنة لعمار**»[٦].

---

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٤٨٠.
(٢) انظر: سنن البيهقي ٨/ ١٤٤.
(٣) «مرويات أبي مخنف...» (ص٤٠٣ ـ ٤١٢) باختصار.
(٤) ص(٢٨) وانظر بيان ضعفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (٢/ ٣١٠).
(٥) ص(١٧٢) وانظر لبيان ضعفه سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (٢/ ٢٧٣).
(٦) ص(٢٧٩) وانظر لبيان ضعفه «العلل المتناهية» لابن الجوزي (١/ ٢٨٣)، و«السلسلة الضعيفة» للألباني (٢٣٢٨).

وحديث: «**رأيتُ عبدالرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً**»[١].

وانظر أيضاً: (ص٥٤) و(ص٤٣٠).

○ **الملاحظة الثامنة:**

إطلاقه بعض العبارات التي تخالف الإسلام لاسترساله مع الأسلوب الأدبي الذي لا يمكن ضبطه بالضوابط.

١ ـ كقوله في ترجمة عمير بن سعد: «والآن ونحن نودع عميراً.. ونحييه في إجلال وخشوع، تعالوا نحني رؤوسنا وجباهنا لخير المعلمين محمد... إلخ»[٢] وحني الرؤوس والجباه لا يكون إلا لله عز وجل، لأنه من باب التعظيم، وقد نهى ﷺ معاذاً أن يسجد له لما عاد من اليمن[٣]، وإن كان ذلك بدعوى المحبة والتعظيم، لأن محبتنا للرسول ﷺ لا تجعلنا نغلو فيه بمثل هذه العبارات، اتباعاً لقوله ﷺ: «**لا تطروني كما**

(١) ص (٥٨٥) وانظر لبيان ضعفه «تخريج أحاديث احياء علوم الدين» للعراقي (٣٥٥٩).
(٢) ص (٤٨٥).
(٣) أخرجه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٠٢).

أطرت النصارى ابن مريم»[١] .

٢ ـ ومن ذلك قوله عن «نُسَيبة بنت كعب» : «وكان القَدَر الذي يرمق آنئذٍ جزعها وصبرها وجَلَدها يبدي إعجاباً كبيراً بها ، ويقرر في نفس الوقت أن يقف بجوارها حتى تَبَرَّ بيمينها»[٢] .

قلت : والقَدَر لا تصرف له ولا فعل ، إنما هو الله عز وجل الذي يُقَدِّر الأقدار ، ويُقَلِّب الليل والنهار كيف يشاء ، فهو الذي كان مع هذه الصحابية الجليلة عندما جعلها تبر بيمينها بما هيأه لها من أقدار .

فالقدر هو فعل الله تعالى لا ينسب إليه شيء ، إنما يُنسب ذلك كله إلى فاعله ، وهو الله ـ عز وجل ـ .

* * *

(١) أخرجه البخاري .
(٢) (ص٦١٧) .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة